الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة الجامعات — جامعة الامير عبد القادر

معهد اصول الدين

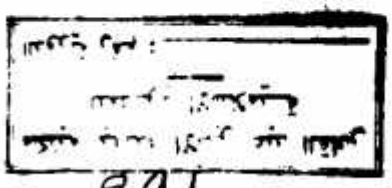

291
110

قصة الخلق

دراسة مقارنة بين اليهودية و الاسلام

رسالة مقدمة :

من الطالب : العربي بن الشيخ

لنيل درجة الماجستير في مقارنة الاديان

تحت إشراف :

الدكتور : عبد الخالق بكر عبد الخالق

السنة الجامعية : 1990 - 1991

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاهـــــداء

أهـــدى عملـــي هـــذا الى أبـــوى وجميع أخوانـــــــي وزوجتـــي وولـــدى والى جميع طلاب البحث العلمـــي .

وأقـدم شكـرى الى أستـاذى عبد الخالق الذى لم يدخـــــر جهـدا على توجيهي ومساعدتـي في انجاز هذا البحث . كمـا أقـدم شكـرى الى أستـاذى رشـاد الشامي الذى تعلمـــت منـه أصـول الديانـة اليهوديـة ، والكشف عـن مكائدهـم لدينـــا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــدمة

تتضمن قصة الخلق اهم محور في العقيدة و على اساسه تنبني بقية المحاور العقدية الاخرى في اى دين او تيار فكرى او فلسفي ، حيث يتحدد بمفهومها علاقة الانسان بخالقه و بغيره من المخلوقات الاخرى و من خلال هذه القصة يتجلى تصور و اعتقاد جميع اهل الاديان لكيفية نشوء الكون و خروج الانسان من العدم الى الوجود ، و مصيره بعد الموت ، وبناءا على هذا الاعتقاد يتحدد دور الانسان في الحياة.

وهناك اتجاهان رئيسيان متصارعان على ريادة الفكر البشرى في تصور قصة الخلق وتعريف الخالق . الاتجاه الاول يستمد علمه وعقيدته من الوحي الذى مصدره الخالق الواحد الازلي (الله) .

والاتجاه الثاني وثني لا يعترف بوجود خالق ازلي واحد ، بل يعتقد بالتعدد ، سواء كان التعدد محدودا بموجودات كالاوثان عند القدماء ، او كان بذكرة الالحاد التي تجعل نشوء الكون و ما فيه من كائنات جاء صدفة و عن طريق التطور تنوعت المخلوقات الى فصائل واجناس ، وبالتالي اصبح كل جنس الها لوجد ذاته.(1)

ان الدراسة المقارنة بين عقيدة الاسلام و اليهودية في قصة الخلق تبين اصول معتقدات الدينين ، ونظرة كل منهما الى عقيدة توحيد الخالق و تنزيهه سبحانه وتعالى. و مغالبة معتقدات اتجاه التعدد في تصور هذه القضية .

---

1) عقيدة التعدد عند الملحدين تتمثل في ما اضفوه من صفات الالوهيه على مخلوقات مثل الظواهر الطبيعية والظروف البيئية ، حيث جعلوها علة لوجود الكائنات وتنوعها واستمرارها في الوجود وعللوا العناية والاهتمام في الخلق بالتباين المعجز والمعادلة بين المخلوقات. وهذه الاوصاف تميز بين الخالق والمخلوق .

الهدف من البحث :هو تحديد اوجه الشبه و الخلاف في قصة الخلق بين اليهوديه و الاسلام لتوضيح تأثير كل منهما في الاخر ، وبيان الاثار الفكرية الدخيلة عن الفكر الاسلامي و الاثار المكتسبة في الفكر اليهودي ، ولقد اهتم علماء الاسلام بهذه الدراسات قديما و استطاعوا القيام بتنقية و حماية الفكر الاسلامي من شوائب الاديان و الفلسفات بواسطة وضع مناهج علمية تضبط دقة و صحة موضوع و منهج كل علم من العلوم الاسلامية ، وعدم اخضاع تقويم حقائق الدين الى غيرها من المعتقدات القديمة او ما يسمى بالكشوف العلمية حديثا لان هذه الاخيرة قابلة للترجيح والتصحيح بمرور الزمن ، ولهذا تكون الدراسات المقارنة حديثا من احسن الاساليب في مواجهة التحديات الموجهة للفكر الاسلامي و ذلك لانها تبين الشوائب الدخيلة عن اصول الدين .لكن هناك عوائق تعترض و تواجه الباحث في هذا المجال وهي قلة المصادر والمراجع المعتمدة في الدين اليهودى التي تتناول قصة الخلق موضوعا لها ، وكذلك ندرة البحوث التخصصة في مقارنة الاديان عندنا في المغرب العربي .

اشكالية البحث : الاشكال المطروح في قصة الخلق لاجراء الدراسة المقارنة هو: صعوبة حصر و توضيح مفاهيم المصطلحات المستعملة في عملية الخلق و التصورات لابعادها في الدينين ، و بناء على الهدف والاشكالية صممت خطة البحث كالآتي .

خطـــة البحـــث :

- تمهيـد : يوضح قضية الخلق وأهميتهـا في عقائد الأديان ، ويوضح المصطلحات المستخدمـة في القـرآن الدالة على عملية الخلق .

1 - الباب الاول :

- قصة الخلق في الديانات السابقة لليهوديـة

الفصل الاول : - قصة الخلق في الديانـات الساميـة .

الفصل الثاني : - قصة الخلق في ديانـة مصـر القديمـة .

الفصل الثالث : - قصة الخلق في ديانـات الشرق الاقصـى .

2 - الباب الثانـي :

قصة الخلق في المصادر اليهودية والمصادر الاسلاميـة .

الفصل الاول : قصة خلق الكون في المصادر اليهودية والمصادر الاسلامية

الفصل الثاني : مقارنة بين قصتي الخلـق في المصادر اليهوديـة والمصادر الاسلاميـة .

الفصل الثالث : قصة خلق الانسان في المصادر اليهودية والمصادر الاسلامية

الفصل الرابع : مقارنة بين قصتي الخلـق في المصادر اليهوديـة والمصادر الاسلاميـة .

3 - الباب الثالـث :

الاسرائيليات في قصة الخلق في بعض التفاسـير للقـرآن الكريـم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

قضية الخلق مطروحة في كل فكر ودين ، وعلى أساسها وضعت القواعد الفكرية لمنهج أي دين أو تيار فكري ، وكل يضفيها تفسيرا حسب معتقداته بحيث يبني عليها جملة القضايا العقدية لاتجاهه ، وعرفت هذه القضية منذ وجود الانسان ، لانها تعالج مشكلة وجوده والهدف من حياته وهكذا « اصبحت مشكلة (الوجود) أو تحليل (الوجود)، أو تعليل الوجود هو البداية لكل منطلق فكري وهي الانطلاق الفلسفي في فكر كل فيلسوف ، وشوهد أنه ما من مفكر يريد أن يدلي بمذهب في الفلسفة الا وقد اتخذ (الوجود) منطلقا لتأصيل مذهبه أو التأسيس عليه»(1) وقد انقسم الفكر البشري الى اتجاهين أساسين في تعليل الوجود .

الاتجاه الأول : اعترف بوجود الخالق ، وجعل جميع ما هو صادرا عنه بارادته واستدل بنشوء الخلق من العدم على وجود (الله) ووحدانيته وهؤلاء يفسرون كيفية التخليق على حسب ما جاء به الوحي من توضيحات لعملية خلق الكون ، والانسان ، لكن الوحي لم يعط تفسيرات تفصيلية دقيقة ، انما أشار الى المحطات الرئيسية في القضية ، وبقي الانسان متسائلا عن كثير من الظواهر الكونية التي يراها ، ولم يتمكن أن يكشف سر وجودها فنسج العقل البشري قديما أساطير حول هذه الظواهر الكونية ليعلل عدم ادراكه لحقيقة الخلق ، ودوما هذه الاساطير تتشئها الطبقة التي تمثل منارة العلم في المجتمع ، حيث نجد أن الاساطير السومرية أو المصرية ، أو الهندية انتجتها الكهنة وهم الطبقة العالمة والمدبرة لنظام الحياة الاجتماعية آنذاك ، وفي العصر الحديث انتجت طبقة من علماء علم الاجتماع والبيولوجيا أسطورة التطور ، وأدعوا أنها العلم وما عداها فكر غير علمي ، ومن ينظر في هذه النظريات والاساطير يجد لها أبعادا حضارية موروثة .: فالعلماء المحدثون يرون البحث العلمي هو ذلك البحث المجرد من أي فكر ديني لاعتقادهم أن الدين أسطورة(2) . وهذا

---

1) مصطفى فلوس : الوجودية في الميزان . مجلة : رسالة الامام العدد الرابع (اوت 1985) ص: 11 . ومورس بوكاي ما اصل الانسان . ص: 15

2) أنظر عباس محمود العقاد . عقائد المفكرين . ص : 49

التصور ورثوه من الفلسفة الاغريقية ، وعلى هذا الاعتبار اتخذوا المقاييس المادية الصرفة في بحوثهم ، وهذه المقاييس توصلهم الى جانب من الحقيقة وتحجب عنهم الجانب الآخر المتمثل في عالم الغيب .

الاتجاه الثاني : انكر اتباعه وجود الفاعل الأول للوجود فوضعوا قواعد يفسرون بها كيفية نشوء الخلق ، وهذه القواعد تستعمل دليلا على عدم وجود الخالق ويدخل تحت هذا التيار عدة اديان وتيارات فكرية قديمة ومعاصرة ، وهذا الاتجاه لا يرى انسانه « اثنينية في الوجود ، انما يحصرونه في نوع واحد فقط هو الوجود المادي المحسوس المطلق ... وهو اتجاه الحادي مرفوض في جميع الحقائد السماوية »(1) اذ تنطلق الاديان السماوية من الوحي وتجعل البحوث الخارجة عنه تفسيرا وتفصيلا لما أجمله وتعده أصلا للفكر البشري منذ وجود أول شخص وجد على الارض وهو آدم عليه السلام كان علمه وحيا ؛ بينما الاتجاه المادي الالحادي يعتقد ان هذا ازليه المادة ويفسرون نشوء الخلق بالتطور الذي حدث نتيجة التفاعلات بين مكونات الطبيعة ، وعبر مراحل هذا التطور ظهر الانسان في صورته البدائية ، ثم تطور حتى وصل الى ما هو عليه الآن في بنيته الجسمية والفكرية ، وما الفكر الديني الا مرحلة مر بها أثناء تطوره وبدايتها نبعت من الطوطمية السائدة عند الشعوب البدائية كما يرى دوركايم : « ان هذا النظام [يقصد به العادات والتقاليد والدين] وقد انبعث من تلقاء نفسه من العقل الجمعي ... ويرى أنها تمثل أقدم ديانة انسانية لارتباطها بابسط تكوين اجتماعي وهو تكوين العشيرة فقد ذهب الى أن المجتمع نفسه كان

---

1) مصطفى فلوس . الوجود به في الميزان . مجله : رسالة الاسلام . العدد الرابع اوت (1985) ص 13 .

أول الـه عبـده بنـو الانسـان »[1] ، واسطورة تطـور الانسـان الـتي تحـددان أصلـه حيـوان انمـا هـي فكـرة طـوطميـة نتجت عن تصـور « بعـض أفـراد التوتـم* الحيـواني أو النبـاتي قـد تحـولت الـى أنـاس وأن مـن هـؤلاء أنحـدرت العشـيرة »[2] لكـن لانجـد دليلا علـى نشـوء الديانـة عنـد الانسـان ـ يحمـل علـى اليقـين أو على الظـن أن الطـوطميـة كانـت الديانـة الاصليـة للبشريـة وعلـى ضـوء مـا تصـوره هـؤلاء عـن نشـوء الديانـة عنـد الانسـان فسروا عمليـة الخـلق فـي الديانـات المختلفـة وبنـاء علـى هـذه المقدمـة عـدوا التجـرد مـن الفكـر الديـني تقدمـا علميـا ونهجـا فكريـا يدفـع الانسـان الـى ابحـاث الدقـيق والتـروي للحقيقـة والاشكـال : انهـم لـم يتجـردوا هـم مـن تصـورات تهـم الالحاديـة وعاملـوا جميـع الاديـان علـى حـد سـواء . ولـم ينظـروا الـى الاسـلام النظـرة العلميـة الفاحصـة وعـدوه انتاجـا بشـريا توصلـت اليـه البشريـة فـي تطـورهـا الفكـري ، وجعلـوا التصـور الاساسـي لقضيـة الخلـق جـاء راقيـا نتيجـة لرقـي الفكـر وأنـه « كلمـا كـان الانسـان أدنـى فـي مرتبـة التفكيـر كـان تساؤلـه أقـل عـن كنـه الوجـود ... ولكن كلمـا زاد وعـي الانسـان اتضـاحا وجـدت لـه المشكلـة أعظـم مـا تكـون ، والواقـع أن تلـك الهمـة التـي لا تهمـد والتـي تجعـل ساعـة الميتافيزيقـا دائبـة العمـل دون توقـف تتمثـل فـي الفكـرة القائلـة بـان عـدم وجـود هـذا العـالم يستـوي صحـة مـع وجـوده »[3] أي يعتقـدون أن هـذه الفرضيـة هـي المنطلـق الـذي انطلـق منـه

---

1) علـي عبـدالواحد وفي . الطوطمية أشهر الديانات البدائية . ص : 103

* ملاحظة : (يكتب الاستاذ علي عبدالواحد كلمة طوطم با لتاء بدلا من الدال .)

2) المصـدر السابق . ص : 38 ومابعده .

_Robert Laffont/Histoire du developpement culturel et scientifique de L humanité (UNESCO).volume. 1.Ed 1967. PARIS

3) وليم جيمس . بعض مشكلات الفلسفة . ترجمة : محمد فتحي الشنيطي . ص : 11

البحث في تفسير عملية الخلق ، وهذا يخالف الوحي. اذ لا يبحث في ماهية الوجود بل يعلمُ عن كيفية وقوعه ويحث على النظر في هذه الكيفية قال تعالى :« قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئُ النشأة الاخرة ان الله على كل شيءٌ قدير»[1] فعلة الوجود في الديانات السماوية معلومة لا يبحثون عنها لأن الوحي كفاهم الاجابة ببيان أن الله هو الخالق لهذا الوجود وأن هذا من اعجازه ، والتدبير والبحث في كيفية البدوء يظهر ذلك الاعجاز الذي لا يدركه الانسان بحواسه أو عقله يثبت وحدانية الخالق وقدرته المطلقة على خلاف اسطورة التطور ونظريات الالحاد : ومن هذا المنطلق لا تعد الاديان الوثنية الا انحرافا عن التوحيد والوحي . ولذا تظهر فيها لمحات من آثار الوحي في قصة الخلق ونشوء الكون[2].

عملية الخلق في الديانات الوثنية وفي الفكر الحديث تتعلق بنقطة البدء التي لا تضع لها بداية انما هي عملية تطور وتوالد متسلسل لانهائي ، أما النظرة الاسلامية فتقسم عملية الخلق الى اطوار :

1) الخلق من العدم : وهو اخراج الوجود كلية من العدم المطلق الى الوجود المحسوس أو الغيبي ، كاخراج المادة وعناصرها من العدم .

2) الخلق من شيءٌ : وهو اخراج شيءٌ من شيءٌ سبقه كخلق جسم الانسان من الطين أو خلق أجسام الجان من النار

---

1) الآية 17 سورة العنكبوت

2) عباس محمود العقاد. عقائد المفكرين . ص : 51

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال تعالى :« خلق الانسان من صلصال كالفخار و خلق الجان من مارج من نار » (13 الرحمان)

3)الخلق المستمر : و هو امساك الشيء المخلوق على صورته الموجودة عليها في الوجود قال تعالى في ذلك : « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا و لئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا»(41 فاطر)

و هذه التقسيمات مشتقة من الالفاظ المرادفة لكلمة (خلق) التي استخدمها القرآن في توضيح عملية التخليق . والانشاء ، ولكل منها مدلول خاص موضح للكيفية التي تمت بها عملية الخلق .

المعنى اللغوى : تتضمن كلمة معنى التقدير حيث يقال خلق الاديم اذا قدره قبل القطع كقوله تعالى :« واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طائرا باذني » (112 المائدة) فالخلق الذي يقوم به سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام هو : تفصيل قطعة الطين على شكل طائر ثم ينفخ في تلك الكتلة الطينية فتدب فيها الحياة و تتحرك وتطير باذن الله . أعطى الله هذه المعجزة لرسوله عيسى عليه الصلاة والسلام ليقرب الى الاذهان البشرية عملية التخليق (التقدير) فهي تتم في طورين ، الطور الاول هو : التفصيل وبناء الصورة من المادة الخام الاصلية الموجودة في المحيط العام ، وهذه العملية بسيطة وظاهرة لا سر فيها ، أما الطور الثاني المتمثل في ظاهرة الحياة فهو : سر خاص بالخالق ، لا تستطيع العقول البشرية ادراكه أو التوصل اليه (2) . ولتوضيح هذه المعاني جاءت عدة مرادفات في القرآن الكريم لتحقق و تضبط معنى

---

1)محمد بن أبي بكر الرازى . مختار الصحاح . رتبه محمود خاطر . ص : 237

2)Denis Masson . Monotéisme coranique et Monotéisme Biblique. P:123

عملية الخلق وتبين أنها ليست اخراجا للموجودات من العدم فقط، بل أن هذه المخلوقات لا يستمر وجودها الا برعاية تمسك كيانها على الصورة التي وجدت عليها وفي الوقت نفسه تعبر هذه المرادفات عن صفات الخالق .

1 ابجز : تجمع على صيغ، وخلق كقوله تعالى : (8) وبجعل الظلمات والنور (1 الانعام) « وفي البجعل معنى التضمين لانشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان الى مكان »(2)

2 اسوى : أي سوى الشيء من اعوجاج أو اقبل وقصد ، وعدد والمعنى الاجمالي هو تنقل الشيء من حالة سابقة الى حالة جديدة تكون أرفق وأحسن مما كانت عليه .(3)

3 ابرأ : برأ الله الخلق من باب خلق وقطع وهي ترادف معنى التقدير والتفصيل أو القطع وقيل « ولهذه اللفظة من اختصاص بخلق الحيوان ، وقلما تستعمل في غير الحيوان فيقال برأ الله النسمة وخلق السموات والارض »(4)

4 أنشأ ابتدأ وحيّ وربّا وشبه بمعنى كون ونمى أي تمام بعملية بناء شيء مركب من أجزاء

5 افطر : الفطر معناه الاختراع والبدء والفطور هو التشقق الذي تحدثه البذرة في وجه التربة عند نموها وخروجها ومعنى الفطر هو الانشاء والبدء

6 ابث : بمعنى نشر وأنشر ، وفرق ، وخلق الله الخلق فيتنسم في الارض أي نشر وكثر

---

1 امحمد بن ابي بكر الرازي . مختار الصحاح . ص : 105 ومثله الفيروزابادي. القاموس المحيط (3/ 223). وابن منظور لسان العرب. (10/35)

2 الزمخشري . الكشاف (2/2) . واسماعيل حقي : روح البيان (3/3)

3 انظر المصدر السابق محمد بن أبي بكر : ص. 324 و . فيروزابادي (3/348) وابن منظور (11/110)

4 المصدر السابق محمد بن أبي بكر ص 43 . والفيروزابادي (1 / 8)

7) أبدع : اخترع لا على مثال أي أنشأ وبدأ، والبديع هو المحدث والمبدع أي تحمل معنى البدعة وهي الحسن والجمال.[1] كل هذه المرادفات وما تحمله من معان تدخل في مدلول عملية الخلق، وتوضح الجانب الاعلامي الذي يحتاجه الانسان في معرفة بداية الخلق الذي هو جزء منه، ويعرف بداية وجوده على هذه الارض بالمقدار الممكن لوظيفته، وبالقدر الذي تتحمله وسائل ادراكه الاستعلامية وماكان خارجا عن الادراك وغير فعال في حياة الانسان لم يبلغنا به الوحي لانه ليس من اختصاصه . واستعملت عدة الفاظ تعبيرا عن عملية الخلق لتبيان مراحل الخلق، ولم يرد خبر عن كيفية تخريج الوجود من العدم المطلق بالتفصيل لانها من صفات ذات الخالق التي لا تدرك، وكل ما جاء في هذا الباب قوله تعالى :«انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون (32 يس).

أما أهل الديانات الوضعية والمحرفة التي دخلها الوضع فانهم لم يستطيعوا تحمل فكرة الذات الالهية التي لا تدرك في تصورهم، فأخذوا من واقع حياتهم مثالا وشبهوا الله بالانسان في أفعاله وتعدده، و مراتبه الشرفية، الا انهم أضفوا عليه صبغة الاعجاز المتمثلة في القوة والقدرة على الخلق والابداع، فنسجوا من هذا التشبيه الاساطير حول القضايا العقدية وخاصة عملية خلق العالم العالم والانسان، الا اننا نجد دائما ومضات يعود أصلها الى الوحي أما الفكر المعاصر المسمى بالعلم فيتفق مع الوحي في جانب الحقائق العلمية، ويختلف عنه في المنطلق حيث

---

1) محمد بن أبي بكر الرازي . مختار الصحاح . ص : 42 . والفيروزآبادي . القاموس المحيط :ص : 110/2

تجعل الاديان السماوية الخلق خارجا من العدم وهذه العملية تتم بأمر الخالق ، أما الالحاد فانه يجعل المنطلق هو عناصر المادة البسيطة (السديم)[1] الذي يسمى الغاز الكوني المركب من غازا لهيدروجين الذي تركبت منه العناصر المختلفة للمادة الداخلة في تركيب الكون وأن بروز ظاهرة الحياة جاء صدفة تمثل في كائن أولي تطور فأعطى هذه الانواع والاجناس المختلفة من الكائنات الحية بما فيها الانسان وهكذا تفسر عملية الخلق بالمنظار الالحادي المادي : وباختلاف الاديان والتيارات الفكرية اختلفت تحليلات وتعليلات الوجود واتخذت قضية الخلق الميز بينهما ، وهي سبب التغاير بين جميع الاديان بعضها مع بعض[2] ، ولكن الاحتكاك بين الشعوب والحضارات في مجال الحرب والسلم أدى الى تبادل في الافكار وانتقلت بعض المعتقدات من دين الى دين آخر كما أدى نشوء الفرق والمذاهب في المذهب الفكري الواحد دورا فعالا في تطور الافكار وظهور معتقدات جديدة غير معهودة وفي الوقت نفسه نجد وازع المحافظة على الشخصية المتميزة للمذهب أو الدين يدفع الاتباع الى التشبث بالاصول والترويج لها بشتى الوسائل ، وتمريرها الى المذاهب والاديان الاخرى ويتجلى هذا في التحريف الذي وقع للديانات السماوية السابقة للاسلام : اليهودية والمسيحية ، حيث ادخلت عليها عدة معتقدات وثنية نتيجة احتكاكهم بالوثنية والاندماج الفكري الذي تفرضه أساليب الغزو والتسلط . اذ حرفت

---

1 ا محمد متولي . وجه الارض . ص : 1 ـ 3

- Lincoln Barnett et Les servces réductionnels de LIFE.Ce monde où nous vivons. tradiction:Denis Francois:10

2 ا. مصطفى فلوس . الوجود به في الميزان . مجله: رساله الاسلام. العدد الرابع (1965) ص: 14

- محمد البهي . الجانب الالهي للتفكير الاسلامي . ص 24

أغلب عقائد اليهودية تحت تأثير أتباعها بديانات الشعوب الوثنية التي تصادمت مع اليهود في حروب أو تسلمت عليهم وترسخت عليهم معتقداتها، فأخذها هؤلاء الاتباع معتقدات أو تفسيرات توضح ما عندهم من أخبار الوحي: وبالتالي استبدلت المعتقدات الوثنية بالمعتقدات الأصلية التي جاء بها الوحي(1). وصارت الديانة اليهودية جسرا يحمل أساطير وخرافات ونحليات متتابعة زمنيا ومكانيا مايشبهها اليهود الى أن جاء الاسلام. فأراد بعضهم أن يفسر ما أجمله الوحي من أخبار عن قصة الخلق وحوادث التاريخ. وسير الانبياء مدعين أن هذه التفاصيل مصدرها من الوحي السابق للقرآن، وادعوا بأسم العلم عدة موضوعات من الاخبار كتفسير وتفصيل لاخبار الوحي ومن هذا المدخل تسربت الاسرائيليات الوثنية الى أفكار المسلمين وصار من الواجب القيام بدراسة مقارنة بين الفكر الاسلامي، واليهودي لبيان تلك الموضوعات التي مررها اليهود من الديانات الوثنية الى الدين الاسلامي أكان ذلك عن طريق تعمدهم لتحريف الفكر الاسلامي أم وهما من المسلمين أن هذه الانباء التي حملها بنو اسرائيل حقيقة مصدرها الوحي: فالدعوة الى الاسلام تلزمنا أن نتخذ علم المقارنة بين الاديان سلاحا والذي لا شك فيه أن الذي يتصدى للتعريف بالاسلام والتبشير به يحتاج الى هذا العلم احتياجا واسعا ويجد فيه خير عون له في كفاحه وجهاده(2). وعلم مقارنة الاديان تستعمل معارفه على أسس مختلفة باختلاف العقائد الدينية، والمشتغل به على بصيرة يرجع الخطأ والتشويه، والتحريف الذي طرأ على عقيدة دينه أو دين آخر في بحثه الى سببه ومناسبته: ولا يسمح للمقدمات الخالية من الروح العلمية أن تذهب به بعيدا عن الحقيقة(3).

1- محمد سعيد العشماوي. تاريخ اليهودية في الفكر البشري. ص: 43

2- أحمد شلبي. مقارنة الاديان. (4/13).

3- عباس محمود العقاد. ما يقال عن الاسلام. ص: 7 ـ 8.

وهذا المنهج المنضبط اتبعه العلماء المسلمون في نقد الاديان ومقارنتها بالاسلام ، أمثال ابن حزم الظاهري ، وهذا الانضباط ناتج عن طبيعة العقيدة الاسلامية التي تلزم معتنقيها بالصدق والعدل ، واتباع الحق ، ونبذ التعصب ، وبذل الجهد في الالتزام بالمنهج ، وكل عمل لا يخضع للاحكام الاسلامية وان ادعى صاحبه نصرتها فهو مردود لانه يمس بسلامة المنهج ، وهذه النظرة مفقودة في الاديان الاخرى ونتيجة أن ما يسمى بالاديان السماوية فاليهود أدخلوا في دينهم عقائد وثنية لغرض نصرة دينهم، والواقع أنهم هدموا دينهم ، لانهم أفقدوه مقوماته ، فدخلت عليه معتقدات وثنية غريبة عن منهج الدين السماوي ، ودخلت تلك العقائد الوثنية في الدين اليهودي بفعل رجال الدين (الكهنة) الذين أعطوا أنفسهم حق التصرف في تأويل الوحي والتشريع ، كما أنهم استخدموا مناهج الاديان الوضعية ، والفلسفة في تقعيد عقائدهم فادخلوا الاساطير والخرافات الوثنية الى كتابهم :وبمرور الزمن تراكمت الموضوعات وتلخصت حقائق الوحي في تراثهم ، حتى أصبح كتابهم المقدس عبارة عن وثيقة تاريخية تحكي تاريخ بني اسرائيل ، وعلاقاتهم بالشعوب التي عايشوها وعاصروها . فاكتسب الفكر اليهودي خصائص جديدة مخالفة الوحي : تتمثل في الاساطير والخرافات الوثنية التي أصبحت عقيدة عند اليهود . يدافعون عنها بضراوة ، وأهم ما استخلصه اليهود من تلك العلاقات في حربهم وسلمهم مع الشعوب التي احتكوا بها عبر التاريخ هو : أسلوب الدفاع وتحصين العقيدة اليهودية وحفظ الشخصية من الذوبان في المحيط الاجتماعي . وهذا الاسلوب يعتمد على التعصب للكتاب بلا جدل . والتبعية المطلقة العمياء لآراء حكمائهم بحيث أصبحت تشريعات هؤلاء الرجال

1- أحمد سوسة . ملامح في التاريخ القديم ليهود العراق . ص : 2 و الى 37 .

أحكاما مقدسة تماثل نصوص الوحي ، وعلى ذلك فإن «كتابهم مكون من طبقات مختلفة و مجموع من مصادر متباينة»[1] وبهذا الاسلوب الانغلاقي على انفسهم الذي اتخذ فيه شعار الدين وسيلة استطاعوا أن يحفظوا كيانهم من الانحلال في غيرهم من المجتمعات الى أن جاء الاسلام وكشف الوحي تحريفاتهم و دسائسهم ، وقارعهم بالحجج والادلة ، فاستجاب بعضهم لدعوة الاسلام بعد صحوه من الغفلة التي نسجتها الكهنة على العقول فلجأ مفكروهم الى أسلوب التسلل و التغلغل بين صفوف المسلمين ، ونزعوا أنوية التحريف التي اكتسبوها من الديانات الوثنية بين ثنايا مصادر هذا الدين الجديد بدعوى العلم و تفسير النصوص المجملة ، وكان ذلك عن طريق وضع احاديث مكذوبة على رسول الله (ص) أو رفع روايات من كتبهم الى الرسول (ص) والادعاء أنها احاديث والغرض من هذه الاعمال هو اتخاذ المصادر الاسلامية - (كتب التفاسير ، والتاريخ والسير) - مركبا أمينا يوصل أفكارهم الى العقلية الاسلامية فيروضونها على تقبل الفكر اليهودي وفي الوقت نفسه يأملون أن يتخيروا الوحي من جديد ، ويلقى المصير نفسه الذي لقيه دينهم من قبل و تركز هجومهم في نقاط محددة جاءت مجملة غير مفصلة تفصيلا دقيقا في الوحي فأضفوا عليها تفصيلات و تفسيرات من كتابهم كتوضيح لها ، فوجدت هذه الموضوعات أذانا صاغية التقطتها و نقلتها كأفكار علمية «و ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات و بدء الخليقة و اسرار الوجود فانما يسألون عنه أهل الكتاب»[2] عن هذا

---

1 امراد كامل . الكتب التاريخية في العهد القديم . ص : 33

2 امحمد بن محمد ابو شبة . الاسرائيليات و الموضوعات في كتب التفاسير . ص : 132

الطريق دخل الفكر اليهودي الى الفكر الاسلامي ومن أهم المداخل التي استخدمت جسرا تمرر من خلاله التصورات الهدامة : قصة الخلق التي تم من خلالها عبور الاساطير من الاديان الوثنية الى اليهودية ثم حاول اليهود تمريرها الى الدين الاسلامي . الا أنهم اصطدموا بيقظة علماء الاسلام الذين تنبهوا الى هذا فوضعوا قواعد تضبط علم التفسير ورواية الحديث ، حيث تصنف الاحاديث على حسب متونها واسانيدها ، وأسس علماء الحديث علم الجرح والتعديل الذي يحدد قيمة الراوي وروايته ، ومع هذه الدقة هناك من استشهد بالاسرائيليات في تفسير القرآن . وكان لليهود طلع في نشر الاسرائيليات وادخالها في كتب التفاسير، وظهر التأويل الباطني ودخلت هذه المفاهيم الى الاسلام بتلك الكلمات التي اذاعها عبدالله بن سبأ اليهودي ، الذي دخل الاسلام وأذاع مفاهيم الرجعة والوصية . . . وكان هذا أول ما فتح باب التأويل . . . وبذلك تشكل ذلك الجناح المتآمر من خصوم الاسلام الذي عجز عن هدم الدولة الاسلامية سياسيا . وعمل على هدمها عن طريق ضربها فكريا وافساد عقيدتها (1) فأدى ذلك الى تجرد العلماء لمواجهة هذا التحدي بالدراسة العلمية القائمة على منهج المقارنة والموازنة بين الاديان ، وارجاع القضايا الى الاصول الثابتة لتبيان الدخيل من الاصيل في الاسلام ، والاسلام يقرر ان الدخيل ليس أصيلا في الديانة اليهودية ، بل هو من انتاج الديانات الوضعية ، أدخله اليهود في دينهم وهذا ما تبينه الدراسات المقارنة بين الاديان .

---

1 انور الجندي . المؤامرة على الاسلام . ص : 91

الباب الاول :

قصة الخلق في الديانات السابقة لليهودية

انتهت دراسة الاديان والمذاهب الفكرية القديمة من تجميع الاثار التي خلفها أصحاب هذه الاديان من اساطير وقصص ، وتلوث ، وعمران . ثم استنتجت الافكار الاساسية والمعتقدات لتلك الاديان والمذاهب السائدة في ذلك الزمان ، الا أن هذا الاستقراء للاثار اعتمد على قراءة النصوص المنقوشة على الاحجار ، وقطع الخزف في المعابد والقصور بحروف لا يوجد من يكتب بها ، ولغتها اندثرت ، لا يوجد من يتكلمها ، وانما هي رموز ، والغاز قام العلماء الاثريون بمحاولة فكها ، وترجمتها بمقارنة الاسماء والتسميات ، ولكن لا ننسى أن هناك سقطا ، وخرما وتعافي في تلك المسميات الصوتية والنغمية أو كما يقول البردي (1) . وان كانت قراءة هذه الاثار سليمة ولا غلس فيها فهي تعبر عن أفكار المجتمعات المتشددة ولا تعبر عن الفكر السائد ، وأنها شأن وسائل الاعلام الحالية حيث نجد الاخبار والحقائق تنشر وتشاع تحت وصاية ، وتصرف الطبقة المتحكمة في زمام الامور ، ومن هذا المنطلق تكون المعلومات نسبية كما أن للتصور الفكري للباحث أثرا في تفسير النصوص وربطها بالاساطير التي تناقلتها الاجيال ، وكذلك من المعلوم المتعارف عليه في الاوساط العلمية تجريد البحث العلمي من عقيدة التوحيد (العلمانية) والنتيجة هي اصطباغ جميع عقائد الحضارات القديمة المندثرة بالوثنية ، والشرك ، وان أشير الى التوحيد في بعضها فانما هو توحيد وثني ، مثل عقيدة أخناتون التوحيدية الوثنية في مصر الفرعونية القديمة (2) . ويرجع الكثير من المستشرقين بعض القواعد التي جاء بها الوحي الى أصل وثني مثل دوركايم الذي « ينظر الى التقاليد التوتمية على أنها الاصل الاول الذي يرجع اليه تحريم

---

1) سبتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص : 37

2) هنري فرنكفورت . الديانة المصرية القديمة . ص : ...

3) ...

الزواج بين الاقارب في الانسانية جمعاء فيقرر أنه مع تقادم العهد بهذه التقاليد تأصلت في النفوس حرمة الزاج بين الاقارب»[1] بينما نحن نرى عكس نظرته اذ نعتقد أن الاخلاق الكريمة ، والعلاقات النبيلة في المجتمعات الجاهلية ، وعند أهل الديانات المنحرفة الوضعية ، أصلها من الوحي ، وما أحاط بها من شرك انما هو انحراف طارئ على ذلك المجتمع ، وهذا ما حدث لاهل الكتاب السابقين على الاسلام : اليهود ، والنصارى عندما ادخلوا عقائد وفلسفات الشعوب الوثنية الى دينهم ، فغلبت عليهم الصبغة الوثنية ، ولم يبق من الوحي الا بعض الاحكام في صورة حكم ووصايا . كما أدى الاحتكاك بين الشعوب في الحرب والسلم الى انتقال المعتقدات والافكار من أمة الى اخرى ، وحلت لغة مكان لغة آخرى حيث تغيرت المصطلحات ، والمعاني ، وقد تستبدل المفردات والخطط ، «فنجد أحيانا حرفا واحدا يدل على عدة أحرف مما كان يوقع أحيانا العلماء أنفسهم في اللبس حين يتصدون»[2] لقراءة نصوص من هذه اللغات القديمة ، ولا يتمكن العلماء المعاصرون من ضبط اللغات ضبطا دقيقا ، ولا يتم ذلك الا بالاحاطة بالحياة الاجتماعية والنظام العام لتلك الحقبة التي استعملت فيها هذه اللغة لأنه «بمقدار رقي الجماعة ، وتحضرها يكون نصيب لغاتها كذلك من وضع القواعد وفنون التنسيق والتجميل اذ اللغة ظل لحياة الأمة ، ومرآة تبدو على سطحها حال تلك الامة وماهي

---

1) علي عبدالواحد وافي . الطوطمية أشهر الديانات البدائية . ص : 63

2) محمد غنيمي هلال . مختارات من الشعر الفارسي . ص : 5 ، 8

عليه من قوة، أو ضعف»[1] وللغة أهمية كبرى في معرفة تاريخ وتطور الامم وتحليل عقائدهم، وعلاقتها ببعضها. «ومن النتائج التي وصل اليها علم اللغات، معرفة العاديات، وحل النقوش، والخطوط القديمة. مثل النقوش الهيروغليفية، والخط المسماري في اللغات السومرية، والبابلية والاشورية، تقل علم اللغات التاريخ العام القديم من قاعدته الاسطورية الى قاعدة جديدة ترتكز على الآثار القديمة والعاديات والوثائق التاريخية المدونة، والمخطوطات القديمة»[2] وهذا الجانب التاريخي يخضع للتجريب في تحديد أعمار الامم، وبعدها الزمني واستخراج الافكار والمعتقدات التي تركتها في صورة نقوش، وأشكال عمرانية وهذه الدراسة تعتمد على المنهج التجريبي في دراسة الاثار العمرانية وما احتوته من نقوش وتماثيل وتحديد تواريخها والمواد المصنعة منها، وهذا يوضح الدرجة العلمية التي كانت عليها تلك الامة. أما الدراسات الفكرية فانها تعتمد على الاساطير المروية عبر الاجيال أو المنصوص عليها في النقوش ومقارنتها بالجانب التقني الذي توصلت اليه الامة آنذاك. «ويرى علماء الاجناس البشرية أن الانسان قد ظهر في صورة ما على وجه الارض منذ نصف مليون من السنين وان عمره عليها قد يصل الى مليون أو أكثر.. وبديهي أننا لا يمكننا أن نعلم شيئا عن الثقافة الانسانية الاولى الا عن طريق فحص الاشياء التي صنعها الانسان منذ وقت طويل. وذلك أمثال: الأدوات والاسلحة التي وجدت على الارض ولعل مشكلة التعرف على ثقافة الانسان في هذه العصور السحيقة أكثر صعوبة»[3] كما أن تقنية وعقيدة الباحث

---

1) ربحي كمال. دروس اللغة العبرية. ص: 2.

2) المصدر السابق. ص: 4

3) وهيب ابراهيم سمعان. الثقافة والتربية في العصور القديمة. ص: 4

تدخلان في تشويه ثقافة وفكر الحضارات القديمة ، فالمسلمون يعتقدون أن الوحي هو مصدر المعارف الانسانية ، وان الفكر الوثني والالحادي ناتج عن الانحراف ، والتزييف الذي وقع في تعاليم الوحي من قبل الكهنة ورجال الدين ، وغير المسلمين يرون أن الاصل في الحياة الفكرية والدينية هو الوثنية والاديان والمذاهب الفكرية ما هي الا انتاج فكري بشري ، ظهر في مراحل تطور الحياة الفكرية للانسان . منذ بداية تاريخ البشرية انشغل الانسان بالمجتمع ، والاتجاه الوثني متصارعان على توجيه البشر في جميع جوانب الحياة ، حيث تمكن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) من اداء دورهم الهام عبر مراحل التاريخ البشري في ذلك الصراع بين الفكر التقليدي وتعاليم الوحي ؛ ومن الاهمية أن تشير الى أن إسما قريبا من اسم ابراهيم تقد عثر عليه مسجلا تحت اسم إبراما في لوحة طينية تعود الى 1646 ـ 1626 ق م زمن الملك الحاشر للدولة البابلية (1) ، وهذا يدل على أن اسم ابراهيم كان متداولا في تلك الحقبة جنوب العراق . ومع أن احتمال وجود اسماء الانبياء في النصوص المنقوشة نادر ، لأن الصراع بين الوثنية والوحي كان على أشده مما أبعد ذكر الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في تلك النصوص لعدم اعتراف الوثنيين بالرسل ، ولا شك أنه مرت فترات حكم فيها المؤمنون ، وأقاموا مجتمعا يستمد توانيه من تعاليم الوحي ، الا انهم اشتغلوا بالدعوة وتوطيد قواعد الايمان في النفوس عن ومواجهة الوثنية سياسيا ، مثل ما حدث لاتباع سيدنا سليمان عليه السلام ، وهذا سرع تفشي الفكر الوثني وانحراف

---

1) رشيد الناضوري . المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني . ص : 174

اتباع الوحي ، وعودة الفكر الوثني من جديد الذي يزيل هيبة الرسل من النفوس ويبعد ذكرهم ؛ وهذا ما حدث لسيدنا موسى عليه السلام ، حيث لم نجد آثارا تذكر قصته مع فرعون مصر على الرغم من شهرتها وخطورتها في تاريخ العائلة الفرعونية وبقي ذكر الانبياء في الكتب المقدسة ، وعلى السُّنن الاتباع عبر الاجيال فقط .[1]

وأدى النشاط الاقتصادي ، والعسكري والثقافي بين شعوب الشرق الاوسط الى التأثير الحضاري في الفكر « كما يلمس الدارس أيضا تأثر تلك المنطقة بالتحركات البشرية السامية ، والهندية الاوروبية . . . ويمكن القول أن تلك العناصر الحضارية الخارجية قد تفاعلت مع العناصر الحضارية المحلية ونتج عنها مظهر حضاري »[2] جديد منهجه محاربة الوحي . « فكانت ارجاء المعمورة في الازمنة الغابرة تتجاوب فيها أساطير شتى تنطوي على أجوبة غير صائبة عما يخوض فيه الناس من استفسارات »[3] عن الامور الغائبة عنهم آنذاك وبالاخص تلك التي تدور حول مبدأ الخليقة ومنشأ الجنس البشري ومصيره فكانت قصة الخلق الاساس الذي بنى عليه التصور العقدي الديني والفلسفي ، ولذا نجد « البحث في الوجود عند الفلاسفة الاقدمين والاديان . كان منطلقا لتأصيل مذهب أو فلسفة أو فكرة ، فهو بمثابة أرض ثبات لبناء صرح فلسفة مرادة ، مقصودة فالبحث في الوجود عند هؤلاء وسيلة وليس غاية في حد ذاته وانما كان لغرض الاستعانة به على الوصول الى نظرية أو قوام فلسفة »[4]

---

1 ارشيد الناصوري . المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني . ص: 3/ 169 الى 174/3

2 ارشيد الناصوري . المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي 324/1

3 اعصام الدين حفني ناصف . اليهود بين الاسطورة والحقيقة نشوء وتطور العقيدة الموسوية . ص: 34

4 مصطفى فلوس الوجود به في الميزان . مجلة : رسالة الاسلام . العدد الرابع اوت 1985 ص: 16

وكل دين أو مذهب فكري يمر بمراحل البناء والتطور بدءا من مرحلة التأسيس الى مرحلة النضج ، والتقعيد ، وانتهاء بتطوره يقوم أصحابه بالدعوة لنشره ، والترويج له بشتى الوسائل ، ويواجهون تحديات ، وقضايا مستجدة مما يضطرهم الى اعادة النظر في كثير من الاصول ، أو اضافة آراء وتفسيرات من مذاهب أو أديان أخرى . كما أن معايشة أهل الأديان المختلفة أو دخولهم في الدين الجديد يكسبه الآراء والافكار الراسبة في الاذهان من المعتقدات القديمة ، وبهذه الطريقة تتم تلاقح الافكار وتبادل المعتقدات بين الشعوب والامم ، وعندما تكون الشعوب منحدرة من أصل واحد فهذا يسهل عمليات التمازج وانتقال الافكار والمصطلحات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الاول : قصة الخلق في الديانات السامية

يذهب معظم المؤرخين الى أن الساميين ينحدرون من موطن واحد ، وهو : جزيرة العرب ، ثم حدثت هجرات جماعية الى أرض العراق ، والشام ، وفلسطين ، والى شرق افريقيا عن طريق باب المندب ، وهذه «الفروق التي فرضتها العوامل الجغرافية أدت الى انبعاث شعوب تميزت بعضها عن بعض تاريخيا وسياسيا ولكن الوحدة الجغرافية الجوهرية جعلتها اجزاء لا يستقل بعضها عن بعض ، فكان لكل حركة تنشأ في جزء منها أثار في الاجزاء الاخرى»[1] : كما أن اللغة السامية الاولى تركت آثارا في اللغات المتفرعة منها ، ومما نلاحظه في هذه اللغات المختلفة مجموعة كبيرة من الكلمات متشابهة في حروفها و تركيبها و حركاتها[2] ، و هذا العامل ساهم في نقل المصطلحات المعبرة عن معتقدات معينة من شعب الى شعب .

وكل الاثار التي وصلت الينا فسرت بانها تحمل معتقدات وثنية . و نقوشها تصف الخالق بأوصاف المخلوق ، و تصور لنا قصة الخلق كعملية بناء قام بها أحد الالهة ، أو مجموعة من الالهة بشكل تعاوني يماثل ما يقوم به الانسان من أعمال ، الا أن المؤرخين الاسلاميين يقسمون الامم حسب الرسل الذين بعثوا فيهم و يعدون الفكر الوثني انحرافا حدث في دين الامة . فيقول ابن كثير : « ان عاداوهم عاد الاولى كانوا أول من عبد الاصنام بعد الطوفان ، وكان اصنامهم ثلاثة صدا ، و صمودا ، و هرا»[3] و ذكر قوم صالح عليه السلام فقال : « وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الاصنام كاولئك

---

1 اسبيتو موسكاني . الحضارات السامية القديمة . ص : 34

2 امحمد عطية الابراشي . الاداب السامية . ص : 10

3 ابن كثير . البداية والنهاية . (121/1)

فبعث الله فيهم رجلا منهم هو : عبدالله ورسوله صالح»[1] ونصب كل من عاد و ثمود الى سام بن نوح عليه السلام ، و يقر علماء الاثار بوجود اشارات من الوحي المنحرف في النصوص المنقوشة في الالواح الحجرية ، و شاعت هذه الاساطير في تلك المجتمعات عن طريق الغزوات للشعوب المجاورة كما كانت تلك الغزوات سببا في الانحراف ، و هذا ما حدث لمنطقة وادي الرافدين لقد تداولت عليها عدة حضارات كظهور الحثيين على السومريين ، ثم الكاشيين الذين ينحدرون من أصل هندي شرقي الذين حملوا أفكارهم الى المنطقة ، و نقلوا أفكارا آخرى الى موطنهم الاصلي و أخيرا ظهر الاشوريون عليهم.[2] و نتيجة هذا المتمازج بين الاجناس البشرية و الحضارات المختلفة راجت الاساطير ، و الملاحم الدينية التي تحكي عن معارك دارت بين الالهة ، و تصور عملية خلق الكون ، و الانسان ، و على هذه الاساطير و الخرفات تأسس الفكر العقائدي الديني لتلك الشعوب ، الذي يصور الله في صورة بشر يتنازعون أمرهم فيما بينهم تارة يتفقون و أخرى يختلفون الى أن ينشأ بينهم قتال فيموت منهم من يموت ، و يتسلط المنتصر على المهزوم و يوزعون فيما بينهم الاختصاصات في الاعمال و التدبير في الكون[3] ، و الجميع يسير تحت سلطة الاله المتسلط و في المقابل يصورون الشياطين عالم فساد و ظلم ، يريدون أن يفسدوا أعمال الالهة و هذا يحدث قتالا بين الشياطين و الالهة ينتهي بانتصار الالهة على الشياطين و تطردها الى أوكارها . و هذا الاعتقاد

---

1 ابن كثير . البداية و النهاية . (130/1)

2 سبينتو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص : 35

3 ارشيد الناضوري . المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري و السياسي ص : 25

يجعلنا نتصور أن هؤلاء عبدوا الملائكة وأضفوا عليهم مواصفات الالوهية من بعد ما جاءهم الوحي ؛ وبمرور الاجيال رسخت الاساطير التي نسجتها طبقة الكهنة التي تمثل الاطار العلمي في تلك الامة كما أضافت الاجيال اللاحقة لمسوسا على النصوص الاصلية (1) . وتركزت الاساطير حول قصة الخلق المتمثلة في دور الالهة في خلق السموات والارض ، وخلق الانسان ليعمل في هذه الارض ويوفر القرابين لهذه الالهة ، ويرفع عنها مشقة العمل والتعمير في الارض ، وأساطير هذه القصة عند الساميين في منطقة وادي الرافدين موروثة عند الاسلاف « فالجزء الاكبر من الاساطير الاكادية ليس الا نسخة جديدة من الرويات السومرية ..... فقد كان الاكاديون يكنون احتراما عظيما لرويات اسلافهم الذين ورثوا عنهم حضارتهم (2) » وبقيت هذه القصة متوارثة عند ساكني وادي الرافدين ، ولم يحدث فيها تغيير يذكر ، الا أسماء الآلهة مسايرة للظروف الدينية والسياسية ، ففي الاصل عند السومريين الاله انليل هو : بطل قصة الخلق الذي يبعد السماء عن الارض ، ثم استبدل الاله مردك بانليل عند الاكاديين للظروف الدينية ، والسياسية في تلك الحقبة ، وعند مجيء الاشوريين ابدلوا الاله آشور بمردك (3) . بينما احداث القصة لم تتطور تطورا ملاحظا ، بل بقيت ثابتة في جميع الحضارات التي قامت في منطقة وادي الرافدين .

---

1) سيتو موساكي . الحضارات السامية القديمة . ص 89 ، و رشيد الفاضوري . المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي ص 297

2) المصدر السابق (سيتو موسكاني) : ص : 82

3) رشيد الفاضوري المصدر السابق ، ص : 299 و هـ . فرانكفورد وآخرون . ماقبل الفلسفة . ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ص : 199 ، 200 و انطون مورتكات . تاريخ الشرق الادنى القديم . ص : 348 — 353

Payot - Dr.G. La magie chez Les Assyriens et Les Babyloniens: 66 - 70

قصة الخلق في منطقة وادي الرافدين : القصة عند السامين عبارة عن مزيج من الافكار البابلية الطابع في جوهرها ولكن تعود في أصولها الاولى الى بعض الظواهر البيئية والفكرية السومرية الاولى ؛ ولكن في نصها البابلي ، تكون معبرة عن الفكر الديني ، والادبي المعاصر في ذلك الوقت[1] ، واشهر اسطورة من اساطير الخلق هي : اسطورة انوماليش مكتوبة بالخط المسماري باللغة الاكادية ، وكانت أهم شخصية بطولية في هذه الاسطورة ، شخصية الاله مردك الذي يقوم بفصل السماء عن الارض[2] . والقصة يمكننا أن نقسمها الى ثلاثة مشاهد ، الاول يتناول صورة العالم قبل خلق السماء والارض ، وكيفية نشوء الالهة . والثاني : يتناول حياة الالهة والملحمة التي وقعت بين الالهة وعلى اثرها انشقت السماء عن الارض . والمشهد الثالث يتناول قصة خلق الانسان .

1 ـ المشهد الاول ، تحدد الاسطورة مكونات العالم في الازل بثلاثة عناصر

1 ـ المياه العذبة ابسو .

2 ـ المياه المالحة تيامات

3 ـ البخار أو الضباب ممو

وفي لحظة من الزمان امتزجت هذه العناصر الثلاثة في شكل كتلة مائية لا نهائية ولم يكن هناك ارض ولا سماء ، ولا آلهة ، ومن وسط هذه الكتلة المائية ظهر الهان لاول مرة ، وهما لاهمو ، ولاهامو ، ويمثلان الخرين المتكون في السماء[3] ، و

---

1 ارشيد الدناخوري . المدخل في التحليل الموضوعي المقارن والسياسي . ص (3/ 117) .

2 المصدر السابق (1 / 299)

3 احمد جابر عبدالحال الحيني . في العقائد والاديان . ص : 77

ونتج عنهما الهان آخران هما : انشار ، وكشار ، اللذان يمثلان الافق الدائري المحيط بالسماء والارض ، وهذان الالهان انتجا زوجا آخر من الالهة الاله أن ا اله السماء الذى ولد الاله نودیموت ، وايا ، أو انكي اله ا لارض.(1) ولكن في آخر هذه الاسطورة نجد أن أسرة الآلهة نتجت من تزاوج الالهة تيامات ، والاله ابسو وبتكاثر هذه الاسرة أستجدت قضايا جديدة في حياتهم ، وبدأ التنافس على التسلط يدب بين أفراد ا لاسرة ، ونتيجة لذلك تحدث تلك الملحمة الشهيرة .

2- المشهد الثاني : تذكر أسطورة الخلق البابلية انوما اليش ان الاجيال الحديثة من الالهة أخذت تزعج أبويها ابسو وتيامات بصخبها وضجيجها نتيجة لهوها ولعبها ، فضجر الاب أبسو وسخط على الابناء فقرر أن يبيدهم فتشاور مع زوجته تيامات ، ووزيره ممو فيما يريد الاقدام عليه ، وعندما سمعت زوجه تيامات منه ما يريد ثارت في وجهه قائلة : لماذا ؟ نقضي على شيء خلقناه بأنفسنا . نعم ان سلوكهم مؤلم حقا ، ولكن يجب أن تعده أمرا طبيعيا ، أما وزيره ممو فوافقه في رايه وبدأ يدبر معه خطة القضاء على الآلهة الجديدة.(2) شعرت الالهة الفتية بالمؤامرة التي يخطط لها أبوهم ابسو ووزيره ممو ، فاجتمعت على الفور وبدأت تعد العدة لمواجهة الموقف ورسمت خطة دفاع عن وجودها فتكفل اله الحكمة (ايا) بالقضاء على أبيه ابسو ، فاخترع بحكمته ودهائه تعويذة ذات قوة خارقة ، فلما تراها على أبيه ابسو(3) جعلته يغط في سبات عميق وعندئذ انقض عليه فقتله . فلما علمت تيامات بموت زوجها على يد ايا هاجت ثورتها ، وأخذت تستعد للانتقام ، وأخذ ثأر زوجها من الالهة الحديثة فولدت

1- رشيد الناضوري المصدر السابق . ص : (3/113) ، (1/300).
وفاضل عبد الواحد . الطوفان . ص : 43.

2- فاضل عبد الواحد . الطوفان . ص : 44.
وصموئيل هنري هووك . منحنى الخرافة البشرية بحث في الاساطير . ص : 35.

3- فاضل عبد الواحد . المصدر السابق . ص : (43 ، 44).

فولدت امساخا بشعة كثيرة ذات اذناب سامة كالتنين ، والكلاب المجنونة والشياطين والرجل العقرب (1) ؛ وظلت تيامات تعمل بلا انقطاع على خلق الوحوش المخيفة ، والمفترسة التي تعيش في الظلام وأمرت عليها الوحش الكبير كنجو العملاق الذي وعدته تيامات بالزواج منها ، وتتويجه ملكا على كل شيء مقابل انتصاره على الالهة الاخرى ، فاخذ كنجو يستعد للموقف الحاسم (2).

وفي الجانب الآخر بدأت الآلهة تستعد للمعركة المصيرية ، فحاولت في بداية الامر ان تحل المشكلة بطريقة سلمية بالتفاوض مع تيامات ولكن الوحش كنجو طاردها ولم يترك فرصة للنقاش مع تيامات فاجتمعت الالهة من جديد وتحاورت على اختيار اله قوي لمنازلة تيامات ، فوقع الاختيار على الاله الشاب القوي مردك فاشترط هذا الاخير مقابل الانتصار السلطة على كل شيء ، وان يقرنه الجميع بالسمع والطاعة ، فوافق مجلس الآلهة باجماع على هذه الشروط . وبعدها أخذ مردك يعد نفسه ، فصنع قوسا ، وركب فيها السهم ، وحمل الصواة ، وأقام البرق ، وملأ جسده بشعلة ملتهبة وصنع شبكة ليطوق بها تيامات ، وأقام الرياح الاربعة الجنوبية ، و الشمالية ، والغربية ، والشرقية حتى لا يفلت شيء من تيامات ثم انطلق متجها الى ساحة القتال ، وهو مطوق رأسه بهالة تثير الفزع ، وتزود بتميمة ، ونبات يفسد السم الذي تنفثه تيامات.

وجلست تيامات وحولها ، وجمعت قواها لملاقاة مردك وعند المبارزة صاحت بغضب ثم تلت تعويذة ، ونفثت سحرها . فاقترب منها مردك ، ورمى شبكته عليها ، وطوقها بها ، وأطلق في وجهها الريح الاذى ، ففتحت فمها لتفترسه ، فاطلق الريح التي فيها حتى تتمكن من اطباق شفتيها فامتلأ بطنها بالريح ، وانتفخ جسمها فأطلق مردك سهما مزق به أحشاءها وفؤادها فخرت قتيلة

1ـ سبتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص : 83 .

2ـ سليمان مظهر . قصة الديانات القديمة ص(24 ، 27)

وصموئيل نوح كريمر . مختلف المخيلة البشرية بحث في الاساطير . ص: 36 .

وانتصر مردك ، فاستل سيفه ، ثم شق جسدها الى شقين فرفع أحدهما وجعل منه السماء والشق الثاني خلق منه الارض ، ثم قضى مردك على جميع الوحوش والامساخ المخيفة التي خلقتها تيامات وعلى رأسها كنجو(1) ثم نثر مردك على صفحة السماء النجوم والكواكب لتضيء وتتحرك في طريق منتظم مرسوم ووزع المقام على الالهة وقسم أماكن الاقامة عليها ، وجعل لإلهه القمر حكم الليل ، واناطه ومنحه في كل شهر يوما يستريح فيه ، وخلق النباتات والحيوانات ثم استقر الاله مردك في كوكب كبير يشرف على الارض ويراقب(2) سير الحياة فيها . وكلفت الالهة (ايكيكي) بتعمير الارض وزراعتها لتوفير الغذاء فكانت تقوم بالمشقة : وتتعب وتشتكي من ذلك ، فلم يستمع أحد لشكواها فقررت التمرد على موكلها (أميرها) وهاجمت داره بجلنة التمرد . وهددت باغتياله ، فرفعت القضية الى مجلس الآلهة العظام فاعترف المجلس بالتعاب ومعاناة (ايكيكي) فقرر المجلس خلق بديل عن الآلهة يتحمل العناء والتعب عنها في مهمة تعمير الارض وتوفير الغذاء والقرابين .

3ـ المشهد الثالث : يعد هذا المشهد تكملة لقصة الخلق التي تنتهي بخلق الانسان ذلك المخلوق الذي قرر الالهة خلقه خليفة للآلهة ايكيكي حتى ينوب عنها في تعمير الارض وانتاج الغذاء ، واحضار القرابين ، والذبائح للآلهة ، وتعد عملية الخلق تدفرا الاسطورة البابلية ، وان كان الاصل متفقا عليه في القصتين .

---

1 ـ سبتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص : 35 .
و . فرانسك فورد . ماقبل الفلسفة . ترجمة جبرا . ص : 212 ـ 213
وصموئيل هنري هوك . المصدر السابق . ص : 36 .

(2) ـ سبتينو موسكاتي . المصدر السابق . ص : 85 .
وسليمان مظهر . قصة الديانات القديمة . ص : 32، 33
ومحمد جابر عبد العال الحيني . في العقائد والاديان . ص : 202 ـ 206 .

1) **الرواية السومرية** : تقرر الاسطورة أن خلق الانسان ليس غاية في حد ذاته وانما خلق لغرض خدمة الالهة والنيابة عنها في الارض .

بعد قرار مجلس الالهة بخلق الانسان ، طلب أعضاء المجلس من الربة النسل أن تخلق الانسان ، فاجابت : انها ليست قادرة على خلق البشر وحدها ، لان الله الحكمة (ايا) يحتفظ وحده في حوزته على الطين المقدس الطاهر الضروري في عملية خلق الانسان ، فتقدم اعضاء مجلس الالهة العظام بطلب الطين من الاله (ايا) فوافق الاله (ايا) على ذلك . فجمع بالاله (وي ايلا) فذبح ومزج دمه ولحمه مع الطين المقدس وقرئت التعاويذ اللازمة ، وبعد الانتهاء من احضار العجينة قامت الالهة (ننتو) بتقسيم العجينة الى اربع عشرة قطعة ، سبع منها في شكل ذكور ، والسبع الباقيات اناث ثم وضعت (ننتو) نسائجها بخصوص الحمل ، ومدته ، والولادة فعقيدة السومريين أن الرجل والمرأة خلقا من طينة واحدة .

وفي رواية أخرى أن الالهة نمتاخ اخذت قبضة من التراب من ابسو وعجنتها وصنعت منها انسانا غريب الشكل وآخر ذا عاهة ، وآخر لا يستطيع وقف بوله ، وامرأة عاقرا ، وكائنا لا اعضاء تناسلية له . وخلقت الالهة نمتاخ ستة كائنات من هذا النوع ، فيقوم الاله (انكي) بتهيئة مصير كل نوع من هذه الانواع في المجتمع بحيث هذه الانواع تمثل نوعية الناس في المجتمع السومري

الرواية البابلية : لما استقر مردك بعد انتصاره على تيامات في الكوكب المشرف على الارض فكر في خلق من يعبد الالهة

---

1) فاضل عبدالواحد وافي . الطوفان . ص : 44 ــ 56

2) هـ . فرانكفورد وآخرون . ماقبل الفلسفة . ترجمة . جبرا ابراهيم جبرا . ص: 1 و 1

ويقدم لها القرابين . فشرع يعجن التربة وخلطها بدماء الالهة كنجو الذي ذبح في المعركة ، وصنع من تلك العجينة اناسا يقومون على خدمة الالهة ، والسلاة لهم ومن هذا الجيل تكاثر الناس على وجه الارض .[1] وتجد اساطير الخلق السومرية والبابلية لا تختلف الا في أسماء الالهة ، وترتيب بعض الاحداث في مضمون القصة ، وتتفق في الغالب وأهم نقاط اتفاقها .

1 ـ العالم قبل خلق السماء والارض في الازل كان كتلة مائية مالحة ، وأخرى عذبة .

2 ـ نتج أول جيل من الالهة من تمازج المياه العذبة والمالحة .

3 ـ الصراع بين الالهة هو سبب انتاج الارض والسماء والبشر .

4 ـ الانسان خلق من عجينة من طين ولحم ودم اله .

5 ـ لم يكن خلق الانسان غاية في حد ذاته ، بل خلق لخدمة الالهة ، وتوفير الطعام لها .

ويمكننا أن نستخرج آثار الوحي من هذه الاساطير وهي :وجود الماء قبل خلق السماء والارض ، فهذا يوافق القرآن ، وما عند اليهود ، وكذلك خلق الانسان من طين لقد أشار اليها القرآن في عدة آيات مما يثبت أن أصلها من الوحي ، والتحريف وقع في وصف عملية الخلق ، وبدلا في الاسلوب وثنى سياق وصف الخالق بالتعدد وباتت بيه بالانسان في ابراز أنشطته وافتقاره الى غيره . أما القرآن فقد بين الله خلق آدم من طين ثم أخرج منه زوجه ، ثم بث منهما البشر بواسطة عملية التوالد . ولقد وجد خاتم اسطوانة سومرية يعود تاريخه الى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . مرسوم

---

1) سيتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص : 85
وسليمان مظهر . قصة الديانات القديمة . ص : 29 ، 30
ومحمد جابر عبدالعال الحسيني . في الديانات والعقائد . ص : 206

Payot - Dr.G.La magie chez les Asseyriens et Les Babyloniens: 69-70

عليه صورة رجل وامرأة وبينهما شجرة تلتف عليها حية ، وهذه الصورة تشبه تماما ما جاء في كتاب اليهود في قصة آدم وحواء وحياتهما في الجنة وغواية ابليس لهما ، ودخوله الى الجنة بواسطة الحية .[1]

أسطورة الخلق عند الكنعانيين : يتصورون أنه كان في البدء ريح عنيفة ثائرة دائما وظلام حالك ، وفوضى ، واستمر هذا الوضع أمدا لا حصر له ، ثم اتحدت الريح بالفوضى فنتج عن ذلك كتلة مائية في شكل بيضة ، ثم انشطرت البيضة الى شقين فتكونت الكواكب والسماء من الشق الاول ، والثاني تكونت منه الارض وما عليها من صنوف الكائنات الحية بما فيها الانسان . ووجه الشبه بين هذه الاسطورة والاسطورة الدينية هو تكون الماء قبل نشوء السماء والارض ، وانهما نتجتا من تلك الكتلة المائية بعدما كانت كتلة واحدة ثم انفصلتا عن بعضهما .[2]

---

1) رشيد الناضوري . المدخل في التحليل الموضوعي للتاريخ السياسي (3/17)

2) سبيتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص 131

عليه صورة رجل وامرأة وبينهما شجرة تلتف عليهما حية ، وهذه الصورة تشبه تماما ما جاء في كتاب اليهود في قصة آدم وحواء وحياتهما في الجنة وغواية ابليس لهما ، ودخوله الى الجنة بواسطة الحية .[1]

اسطورة الخلق عند الكنعانيين : يتصورون انه كان في البدء ريح عنيفة ظلمة دائما وظلام حالك ، وفوضى ، واستمر هذا الوضع أمدا لا حصر له ، ثم اتحدت الريح بالفوضى فنتج عن ذلك كتلة مائية في شكل بيضة ، ثم انشطرت البيضة الى شقين فتكونت الكواكب والسماء من الشق الاول ، والطين تكونت منه الارض وما عليها من صنوف الكائنات الحية بما فيها الانسان . ووجه الشبه بين هذه الاسطورة والاسطورة البابلية هو تكون الماء قبل تكون السماء والارض ، وانهما نتجتا من تلك الكتلة المائية بعدما كانت كتلة واحدة ثم انفصلتا عن بعضهما .[2]

---

1 ارشيد الخاضوري . المدخل في التحليل الموضوعي للتاريخ السياسي (17/3)

2 اسيتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص 131

وكان الصراع طوال العصر التاريخي مستمرا بين المراكز الدينية المهيمنة لتلك النظريات في السيطرة على الفكر العام في البلد فكان كهنة كل مركز يسعون الى استمالة الحكام بشتى الوسائل المادية والمعنوية وقد عرف الحظ مدرسة هليو بوليس (1) فاستحوذ الههم رع على السيادة الدينية فترة طويلة من الزمن ، حيث كان المصريون يعتقدون أن الخالق خرج من مياه الهيولى الازلية وأقام رابية صغيرة من اليابسة يقف عليها ، وقد اتفق العرف والرأى العام على أن هذه الرابية كانت في معبد عون شمس (2) وفي الوقت نفسه كان كهنة واتباع كل معبد يدعون أن تلك الرابية الاولى التي خرجت من مياه الهيولية موجودة في معبدهم ، ومن هذا المنطلق العقدى يوجبون الاعتقاد بأن الههم هو : الخالق الاول ، ماعداه تابع له في الوجود وهذا مما ساعد على ابقاء هذه المدارس وتعددها التي صورت بالصراع الفكرى ، وهذه الميزة اختصت بها الحضارة والديانة المصرية القديمة عن غيرها من حضارات الشرق الادنى المعاصرة لها ، التي كان فيها الخلق يقدسون اسلافهم ، ويعظمون تراثهم ، ولا يفارقون جوهر الفكر والدين .

قصة الخلق : جميع الاساطير التي تصف عملية الخلق ونشوء الكون لم تنطلق من العدم بل جعلت في بداية الامر ، أن العالم كان عبارة عن كتلة مائية ازلية لم تحدد لها بداية ولم تحدد لها مصدرا نتجت عنه ، بل جعلتها هي الاله القديم الازلي الذى يظهر منه أول كائن حي له القدرة على بث الحياة وخلق كائنات جديدة ، فاطلق عليه اسم اله وأول هذه

---

1) نفس المصدر السابق .

2) باروسلاف تشرني . الديانة المصرية القديمة . ص : 52 .

الكائنات الصادرة عن هذا الاله الاول كلها آلهة جديدة .
وهذه الآلهة الحديثة لا تلبث أن توزع فيما بينها مهام الخلق ، وبناء الكون ورعايته . كما أن هذه الاساطير لم تخل من الصراع بين الالهة على السلطة ، والهيمنة على النظام العام للحياة . ومن مضمون الاساطير نستطيع أن نقتصر على قصتين : احداهما تتناول النظرية الاشمونية ، والنظرية الهليوبوليطانية (نظرية عين شمس) وهاتان النظريتان تقومان على التفسير المادى البحت في عملية التخليق . والقصة الثانية تتناول النظرية المنفية (متف) التي تقوم على التفسير المعنوى غير المادى في وصف نشوء الكون وخلق الكائنات ومضمون الاساطير كلها ثم على النيولس الاولى التي ينتج منها كل شئ ، والهيولى هي المادة الاولى المرافقة للاله ، ومنها يخرج الخلق . ونجد الالهة متناظرة . كل اله وقرينته ؛ فالمياه الاولى (نون) وقرينته (ناونت) التي هي فيما بعد السماء السفلى .[1]

1) الاسطورة الاشمونية والهليوبوليطانية : تقرر الفلسفة اللاهوتية أنه لم يكن في البداية في اللاوجود سوى الفوضى ، وهي المياه الازلية أى الهيولى الاولى والقوة المتجسدة في الاله (نون) الذى المصريون القدماء بالواحد الازلي القديم المبدأ والاصل الاول ، ويتمثل أزليته في أربع خواص زوجية متناظرة : ذكر وأنثى (العمق العظيم) تتجسد هذه الخاصية في الإله (نون) والهة (تونت) ثم (اللانهاية) التي تتجسد في الاله (حوح) والهة (حوحت) ، ثم (الظلام المخيم) الذى يمثله الاله (كوك) والهة (كوكت) ، ثم (اللارؤية) التي يمثلها الاله أمون) والالهة (آمونت) ، وبالتالي يكون عدد الالهة ثمانية تسمى بالثامون المقدس للالهة الازلية ، واطلق عليها اسم هورموبوليس وهذه المعبودات الثمانية التي يطلق عليها بالاشمونين وتعني (مدينة الثمانية)[2] كانت هذه الاصل الذى انبثق منه

1) هـ . فرانكفورت ، جون . ولسن ، توركيلد جاكولسن . ص 67
2) باروسلاف تشرني . الديانة المصرية القديمة . ص 51

معبود عين شمس (أتوم) الاله الاول الذى بدأ وجوده ذاتيا فوق تل ازلي انبثق من المياه الازلية المتمثلة في الثامون وعندما استوى وجود أتوم ، فيزق من فمة الاله شو (وقرينته تفنوت) ، والاله شو يمثل الهواء أو الاثير الذى فصل السماء عن الارض ، بينما تفنوت تمثل الرطوبة ويوجودهما بدأ وجود العالم المنظم (1) ، كما أنه توجد رواية تقول أن الاله (أتوم) ظهر لاول مرة عند خروجه من المياه الازلية (نون) على شكل الطائر : (فوينكس) الاسطورى كما تصور قصة خلق السماء ، والارض ، وانفصالهما عن بعضهما أن الاله شو ولد الهة تسمى (نوت) ربة السماء ، وجب رب الارض فرفع الاله شو ابنته نوت الى فوق بيديه ، ويمتد جب رب الارض تابعا عند قدميه ، وهكذا تصور المصريون عملية خلق الكون وانفصال السماء عن الارض بعد أن كانتا كتلة واحدة ، فتمدد بينهما الهواء فارتفعت السماء عن الارض (2) .

2) نظرية منف : كان موقع مدينة منف بأسره يجسده الاله (تاتشي) أى الارض التي برزت على سطح المياه الازلية ، ونجد أن الاله (بتاح) احتل دور الاله الخالق بدلا من الاله (أتوم) في الثامون المقدس الذى يضم الالهة الثمانية بدأ من (نون) و(أتوم) ، والى (غرتوم) فكلها محتواة في بتاح ولم تكن بمجموعها سوى بتاح ، حيث

---

1) ياروسلاف تشرني . المصدر السابق . ص : 52 ، 53
وهـ . فرانكفورت وآخرون . ماقبل الفلسفة . ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . ص : 67
وسليمان مظهر . قصة الاديان . ص : 3 ، 4
وأدولف أرمان . ديانة مصر القديمة . ترجمة عبدالمنعم أبوبكر . ص : 72 ، 75

2) ياروسلاف تشرني . المصدر السابق . ص : 54 ، 55
ومحمد أبوزهرة . مقارنة الاديان . ص : 10، 12
ومحمود أبوالفيض المنوفي . الدين والفلسفة والعلم . ص : 70

يمثل أتوم اللسان والقلب من الاله بتاح ومظهر هذا القلب هو حورس، واللسان (تحوت) أو هما بتاح بعينه ، وبكامة بتاح المقدسة التي خرجت من القلب واللسان ، فخلقت الالهة (شووتفنوت)[1]؛ واستكمل بقية الالهة الى أن وصل العدد الى التاسوع المقدس ونلاحظ أن النظرية المنفية تعطي مدلولا معنويا للاله بتاح حيث تجعل عددا من الالهة يمثلونه ، ثم تعده واحدا أو كأنه الروح الموزعة بين الالهة ، والتي تعكس فيها خواص الالهة كلها[2] . كما تصور فعل الاله بتاح في عملية الخلق معنويا وليس كما صورته النظريتان السابقتان حيث أن بتاح يأمر الشيء بكلمة الكينونة فيخلق الشيء ؛ وهنا فسرت عملية الخلق بأنها بدأت فكرة في القلب ثم نطق اللسان بالامر فوجد العالم[3].

قصة خلق الشمس : كان رع حورأفي ملكا دنيويا وذات مرة قام بزيارة الى أرض النوبة ، وفي تلك المناسبة بلغه . أن مؤامرة تحاك ضده فابحر في سفينته الى مدينة (ادفو) عبر النيل ، وعند وصوله عهد لابنه (حورس) بقتال الاعداء فخلق حورس في السماء في صورة قرص الشمس مهاجما أعداءه من عل وعند فرار الاعداء يعود حورس الى السفينة ، وعند معاودتهم لمهاجمتة يطير حورس الى السماء مرة ثانية وهكذا خلقت الشمس[4] وفسر طلوعها وغيابها .

---

1) محمد ابو عبدالله الحيني . في العقائد والاديان . ص : 48
و هـ . فرانكفورت واخرون . ماقبل الفلسفة . ترجمة . جبرا ابراهيم جبرا . ص : 73 ــ 75

2) هـ . فرانكفورت واخرون . المرجع السابق . ص : 73 ــ 75
و محمد ابو عبدالله الحيني . المرجع السابق . ص : 48

3) ياروسلاف تشرني . الديانة المصرية القديمة . ص : 56 ، 57

4) المرجع السابق

خلق الانسان : لا يوجد نص صريح يحدد لنا كيفية خلق خلق الانسان أو يصور لنا القصة التي كان يعتقدها المصريون حول عملية خلق الانسان ، ولكن النصوص التي تحدثت عن الانسان لم تعط بداية واضحة . بل جعلت الانسان موجودا مع الالهة جنبا الى جنب ، ودارت بينه وبين الالهة ملاحم ، الا أن هناك اشارات تدل على أن الاله رع خلق البشر من عينه ، وخلق المخلوقات الاخرى بكيفية غير واضحة(1) ، وهناك نصوص تبين أن البشر والكائنات الحية من خلق الاله وهي تحتوي وتتركب من جزء من من المادة الالهية ومن روحه ، والمادة غير الحية فما هي إلا اجزاء من جسده ، أو أنها خرجت عنه كما خرج ماء النيل الذي وصف بأنه أطراف جسد (وزيريس) والهواء أطراف آمون(3) أما الحجر ، والمعادن فقد خرجت من جسد الاله (ست) ، من خلال هذه الاساطير نستشف أن هناك مدارس وتيارات فكرية في ديانات مصر القديمة ، اذ نجد هذا التعدد في الرات واسماء الالهة ، وكل هذا يجعلنا نتصور أن مصر كانت ملتقى لعدة معتقدات ومذاهب حضارية جاءت من أمم مختلفة ، وثنية الديانة ، ولكن فكرة الاله بتاح وطريقته في الخلق يظهر أن مصدرها من الوحي الذي حرف ، والدرس تحت وطأة الوثنية .

---

1) هـ فرانكفورت . ما قبل الفلسفة . ترجمة . جبرا ابراهيم جبرا . ص : 69 ، 70
وادولف أرمان . ديانة مصر القديمة . ص : 75
وبارسلاف تشرني . الديانة المصرية القديمة . ص : 75
2) المرجع السابق . ص : 60 ــ 68

الفصل الثالث : قصة الخلق في ديانات الشرق الاقصى

تشمل بلاد الشرق الاقصى أرض فارس والهند والصين وما جاورها وقامت في هذه المناطق حضارات عريقة في القدم ، وكانت على صلة وثيقة فيما بينها في حالة السلم والحرب ، وكانت بين هذه الاقاليم هجرات و تحركات بشرية و هذا ما جعلها تتشابه في نشاطها الفكري ، وكان قطر الهند هو مركز نشوء أغلب الديانات الوضعية والمذاهب الفكرية العديدة التي انتشرت في الشرق الاقصى ، و هذا التمازج بين شعوب الشرق الاقصى أعطى تجانسا بين أصول المعتقدات من حيث التعبير الخرافي الاسطوري البعيد عن حقائق الوحي بالرغم على الاتصالات التي كانت جارية بين حضارات الهند ، و حضارات الشرق الادنى ومصر القديمة ، ولم يشتر عند شعوب تلك الاقاليم ذكر انبياء أو رسالات سماوية ، بل المعروف عندهم عبادة الاوثان ، والظواهر الطبيعية وتأليه الشخصيات الاسطورية ، أو البطولية مثل : بوذا ، وجينى ، وكونفوشيوس فهذه المنطقة من العالم تتعدد فيها الاديان واللغات والاجناس، وعاشت شعوبها تحت نظام التميز الطبقي طيلة تاريخها ومما ساعد على توطيد هذا النظام ما قام به الكهنة والطبقة الحاكمة من ابتداع الخرافات والاساطير حتى ان هذه الاساطير تحدد المادة الاصلية التي خلقت منها كل طبقة من طبقات المجتمع ليبقى هذا التمايز وراثيا لا يمكن خرقه بساق وسيلة ، ولا يمكن لطبقة أن ترقى الى طبقة أرقى منها ، و معظم هذه الاساطير نسجت من قبل الشعوب الآرية النازحة الى الهند و جنوب الصين من أرض تركستان (1) ، للحفاظ على سلالتها من الذوبان في المجتمع الهندي الاصيل ، و حصر السيطرة المعنوية والمادية في يد الجنس الآري ، وعلى هذه الاسس وضعت قصة الخلق في ديانات الهند القديمة ، ووصف الخلق بأنه جزء من ذات الله ، وان أشرف جزء

---

1) أحمد شلبي . مقارنة الاديان . (4 / 20 ـ 23)

خرجت منه طبقة الكهنة ، وتليها الطبقة الحاكمة . أما في الصين فقد تضاربت الاساطير ، ولكن يبدو أن عبادة الظواهر الطبيعية وعبادة الاجداد هي المسيطرة ، وهذه العقيدة تبنى فكرة التمايز الطبقي بين الاسر والقبائل ؛ الا أننا نجد بعض الاشارات عند قدماء الصينيين توحي أنهم كانوا يعتقدون بوحدانية الله ، ولم تكن قصة الخلق ونشوء الكون واضحة عندهم (1) ؛ وتنتشر في الصين عدة أديان ومذاهب منها ما جاء من الهند كالبوذية ، ومنها ما هو محلي ناشئ في المنطقة كالكونفوشيوسية ، أو الطاوية . غير أن أرض اليابان كانت مملكة مغلقة ، وكان أهلها يعتقدون أن أرضهم هي العالم كله ، وما يحيط بجزرهم من مياه فهو لانهائي ، وان السماء تبعد عنهم بمقدار مرمى سهم طويل ، ودياناتهم الوثنية ، وتقديس الاباطرة لانهم يرونهم أبناء من سلالة آلهة التي أنشأت ما حولهم من الكائنات. (2)

---

1 البان ج ويدجيري. المذاهب الكبرى في التاريخ . ص : 14

2 اسليمان مظهر . قصة الديانات . ص : 244

1) **قصة الخلق في ديانا ت الهند** : تحتوي حضارات الهند على تراث ديني ، وفكري كبير عريق في القدم ، متعدد الاتجاهات ، ويعود هذا التنوع الى عوامل طبيعية وبشرية . فالموقع البغرافي لشبه جزيرة الهند يقسمها الى أقطار متباينة المناخ حيث تتخللها أنهار وسلاسل جبلية ، ومناطق صحراوية ، ويحيط البحر بها من الجهة الجنوبية ، وهذا التعدد والتنوع في المناخ أثر في تشكيلة الحياة الاجتماعية ، والنشاط الفكري ، كما أن شروح شعوب مختلفة الاجناس الى المنطقة ، جعل كل قبيلة أو منطقة لها لغتها الخاصة ، ودينها الخاص بها ، ولذلك نجد عدد اللغات يبلغ الى حوالي 240 لغة و 300 لهجة ، وهذا الاختلاف في اللغات أبعد توحيد الافكار ، وجعلها في قالب واحد له خصائص موحدة ، ونتيجة لذلك لا نجد دينا متميزا بخواص مضبوطة أو منسجما تنبني عليه قواعد أصولية ثابتة ، فكل ما في الأمر أن كانت الديانة الهندوكية من أقدم الديانات وأشهرها التي عرفت في بلاد الهند : وهي تقوم على عدة عبادات وتتعدد فيها الآلهة ، فكل اله له اختصاصه ، وكل طائفة بيعية لها اله (2) . وكان الهنود يتقبلون أي اضافة الى دينهم ، فظهرت عندهم الاتجاهات المختلفة ، والاديان الجديدة : كالرهبانية ، والباطنية وحركات الالحاد وعلى هذا اثرت الهند بكثرة الاديان والمعتقدات (3) التي تضارع في كثرتها لغات الهند أو تقترب منها . وكانت الهندوسية أشهر الاديان وأكثرها انتشارا بين سكان المنطقة ، وتعد الهندوسية

---

1) أحمد شلبي ، مقارنة الاديان . ص : (4/27).
2) المصدر السابق. ص : (4/33).
3) المصدر السابق . ص: (4/34).

جملة من السادات والتقاليد ، ومعتقدات شعوب الهند القديمة وقد دونت هذه الافكار في قصائد شعرية أو خطب ، وبعضت في كتاب مقدس يسمى الڤيدا ، وتم جمع وتدوين هذا الكتاب في مراحل ثلاث.

1) في المرحلة الاولى بحثت فيها مبادئ عبادة الظواهر الطبيعية ، ثم جاء عصر البراهمة فأولوا هذه المبادئ لمالحهم خدمة لاغراضهم وقاموا بشرحها وتدوينها مع دمج الفكر الڤيدي بأفكارهم فسمي ذلك المذهب بالبراهمة . وقامت هذه الطبقة بهذا النشاط للحفاظ على امتيازاتهم على حساب الطبقات الاخرى وخاصة عندما احسوا بذوبان الشعب الآري في الشعب الاصلي ، فحاولوا كيانهم بابتداع أساطير تضمن لهم البقاء في منزل عن الاختلاط بغيرهم كما تضمن لهم السيادة.

2) المرحلة الثانية ظهر فيها الفكر الالحادي المنكر لوجود الله وذلك ليلغي ما وضعه البراهمة من معتقدات التمييز الطبقي ، وهذا الفكر جاءت به الديانة البوذية والجينية.

3) المرحلة الثالثة : العودة الى الزندوسية القديمة ، والاقتصار على الڤيدا الاولى بعد أن تميزت الاديان المشتقة من الزندوسية ، وصارت مستقلة عنها كالبوذية والجينية والسمائية . وحددت معالم كل دين عن غيره باثبات معتقدات ومبادئ يتفرد بها عن غيره من الديانات كالطقوس ، والترابين وأسماء الآلهة ، والتصور لقصة بدء الخلق أو نفيها ونفي الاله الخالق ، والديانة الزندوسية لا يعرف لها مؤسس أو تاريخ تأسيسي حقيقي انما هي انتاج حضاري من وضع شعوب البلاد الهندية . وعندما ظهرت الديانة البوذية ، والجينية ثارتا على الديانة الزندوسية فقام (منو) باعادة تنسيق هذه الديانة ، ووضع لها شرائع القرابين للآلهة ، والطقوس الدينية ، ولكن

---

1) أحمد شلبي . مقارنة الاديان . ص : (4/27).

ولكن طغيان طبقة البراهمة أدى الى التضجر في نفوس الناس، وخاصة الكشتريا التي بيدها زمام الحكم، مما هيأ النفوس للتمرد ولما جاء مهاويرا زعيم الجينية، وبوذا بدعوتهما لقيا قبولا في أوساط الأمة الهندية. فتجرد البراهمة لمقاومة هذين المذهبين المعاديين للتمييز الطبقي، فلم تستطع حركة مهاويرا التمرد في وجه البراهمة فتنازلت وأعطت لطبقة البراهمة مكانة خاصة فسمح لها أن تبقى دينا في المنطقة، أما حركة بوذا فانها غادرت البلاد الى هضبة التبت وجنوب شرق آسيا[1]. وكلا المذهبين لم يتعرض الى قدسية الالوهية مثلما تعرضت اليها الهندوسية ولم يعترف البوذيون أو الجينيون بوجود خالق، بل يعتقدون انه لا يوجد بداية لنشوء الكون أو نهاية للحياة فكل روح من هذه الارواح خالدة مستقلة متجددة بالتناسخ[2].

ولقد زعم البعض أن بوذا قال: «وما الاله! ؟ أهو الحاسر نفسها لئن كان ذلك ما كان في الامر جديد غير واضح اسم على شيء»[3] وما أنكر البوذيون والجينيون الاله الخالق الا تخوفا من تكون طبقة لاهوتية كالبراهمة، فتعود الطبقية من جديد، ونتيجة لذلك لم يعترف بوذا ومهاويرا بالله الخالق، ولم تروعهم أساطير حول بدء الخلق ونشوء العالم[4]. ولذا نجد كل ما يروج في الشعوب الهندية من أساطير حول بدء الخلق انما هو من ابداع طبقة البراهمة التي كانت «نظرتها الى الوجود نظرة مفرقة بين نوعين من الوجود

---

1) أحمد شلبي، مقارنة الاديان. ص: (4/ 106).
2) المصدر السابق. ومحمود أبو الفيض المنوفي. الدين والعلم والفلسفة. ص: 50.
3) محمد أبو زهرة. مقارنة الاديان. ص: 6 ر.
4) أحمد عبد الغفور عطار. الديانات والعقائد في مختلف العصور. ص: (1/ 125).

: وجود حقيقي، ووجود معدوم . فالاله هو الوجود الحقيقي ، والعالم وجود عدم ، والاله ينتشر في العالم فهو حال في العالم وهذا معنى وحدة الوجود أي انه ذو نوع واحد »(1) . ومن هذه النظرة نسج البراهمة قصة الخلق التي تدعم وتثبت أن الكائنات جزء من ذات الله ، وتدعم التميز الطبيتي في الوقت نفسه .

قصة الخلق : لقد ورد الحديث عن براهما وعن خلق الكون في كتاب قوانين منو وتصور هذه القصة أن الكون قبل الخلق كان ظلاما لا يدرك ولا يوصف وكان براهما موجودا وأراد فجأة اخراج الكون ، وانشاء الكائنات ، وبث الحياة ، تتعددت الروايات والاساطير التي تصف عملية الخلق .

1) تقول القصة الاولى ان الاله أول ما أوجد خلق الماء : ثم وضع فيه جرثومة الحياة فصارت الجرثومة الى بيضة ذهبية لامعة تتوقد على سطح الماء عند خلقها وعاش براهما داخلها مدة من السنين ، وزعم أنها مائة سنة من سنيه وكل نهار من تلك السنين يقدر 4320000000 سنة من سنواتنا الشمسية(2) : ثم قسم براهما هذه البيضة الى قسمين شق رأسه ونعل منه السماء والكون والكواكب وعددا من الآلهة ، ووضع كلا نفسي مدأته ، ومدرسه وطبيعته ، وأول الذي خلق منه الارض ونعل فيها الانهار والجبال ، والكائنات الحية بما فيها الانسان(3) .

2) الرواية الثانية تقرأ ان براهما كان موجودا قبل الخلق فمن قصة الانثروبية أخذ براهما : وقد أدرك تلك الحقيقة : أنه هو الذي

---

1) مصطفى فلوس. الوجود به في الميزان . مجله : رساله الاسلام .العدد الرابع أوت 1985 ص: 11

2) موسوعة برداشر ـ الفلسفة والاديان ـ . الفقرة : 271. وأحمد عبد الغفور. الديانات والعقائد في مختلف العصور. ص : 56.

3) سليمان مظهر. قصة الديانات . ص : 50 ، 51.

خلق نفسه لانه أخرج هذا العالم من نفسه «وباطراف أنامله صنع براهما شيئا هائلا كبير الحجم ليكاد يعدل جسمه عملاقا، وعملاقة تعانقا. ونفخ الخالق في الجسد العملاق فاذا به ينشق نصفين نصف للرجل، ونصف لامرأة، واجتمع الزوجان، فكان أول البشر، وأطلت المرأة الى رجلها وتساءلت كيف استطاع ذلك العملاق ان يخرجهن من نفسه ثم يخرج منى كل هذه الكائنات»(1)، ثم ابتعدت عنه واختفت في صورة بقرة، ولكن الزوج لاحقها، وكانت له المقدرة على التشكل، فغير نفسه الى ثور ولحقها فحبلت، وأنجبت بقرا، ثم اختفت مرة أخرى في صورة فرس، فتشكل زوجها الى صورة حصان وتحرا فحبلت، ووضعت خيلا، ثم اختفت في صورة نعجة فلاحقها في صورة كبش، ولقحها، فانجبت الضأن وهكذا كانت تثمر منه في أشكال مختلفة من صور الحيوانات، وهو يلاحقها ويلقحها، الى أن وصلت في التشكل صورة الحشرات كالنمل وغيره، وبهذه الطريقة وجدت الكائنات على وجه الارض(2). وهناك رواية ثانية لهذه القصة تقول ان هذين المخلوقين الاولين الرجل والمرأة كانا اخوين، وكانت الاخت تراود اخاها عن نفسه في مضاجعتها فيمتنع الاخ ويرد عليها بأسلوب الاخلاق النبيلة، والعفة، ولكنها تحاول معه مرارا دون يأس معلنة له انها لا تريد مضاجعته للشهوة، بل ليبقى نسل البشر ويحفظ من الفناء، ويسير على موكبه، ولا يتوقف(3). وتتفق الرواية مع المرأة ولم تذكر هذه الرواية علاقة الاخوة بين هذين الاخوين الاولين ولا على أي أساس قامت، فان كان ثمة ابوان، فلا يكونان هما الابوان للبشر

---

1) سليمان مظهر. قصة الديانات. ص: 50، 51.

2) نفس المرجع السابق. 51

3) أحمد عبد الغفور عطار. الديانات والعقائد في مختلف العصور. ص: 18

والا فعلاقة الاخوة باطلة ، كما أن استمرار وجود البشر على الارض يبطل موقف الاخ المصر على العفة ، ومبدأ الفضيلة لانه لو كان كذلك لما وجدت البشرية اليوم .

3) الرواية الثالثة تربط فيها الفلسفة الهندية التميز الطبقي بنصوص مقدسة جاءت في تشريعات (منو) . ففي هذه القصة يحدد مصدر هذه الطبقات الاجتماعية وتمايزها الشرفي في المجتمع أن أصله من اختلاف المادة الاصلية التي خلقت منها كل طبقة ، لتبقى هذه المفارقة بين الطبقات واقعية فطرية لا يمكن ازالتها أبدا ، ولسد الباب في وجه من أراد الارتقاء من طبقة الى اخرى بالاكتساب : جاء في قصة الخلق أن الاله براهما خلق السموات والارض ، ثم خلق من رأسه أفضل الناس ، وأعظمهم قدسية ، وهم الكرنة البرادمة . ثم خلق من ذراعيه من يلي طبقة البراهمة في المكانة ، وهم الملوك ، والمحاربون ، ويسمون بالاكشتريا . وخلق من فخذيه أرباب المهن ، والتجار ، والزراع ، من يوفرون شؤون العيش للبراهمة والملوك ، وتسمى هذه الطبقة بالفيشيا . ومن قدميه خلق بقية الناس ، وهم الطبقة السفلى التي أفرادها من السكان الاصليين ، ولا حق لهذه الطبقة في المجتمع سوى خدمة الطوائف الاخرى في أخس حاجاتها وتسمى بطبقة الشورد أو المنبوذين (1) ، كما يتصور الهندوس أن الارض خلقت من جسد رجل عظيم عملاق ضحى بنفسه على مذبح الالهة فرضيت به ، وحولت جسده الى ذرات مبعثرة ، ثم عادت هذه

---

1) أحمد شلبي . مقارنة الاديان . ص : (57/4)
وسليمان مظهر . قصة الديانات . ص : 52
و غرمطاف ليون . حضارات الهند . ص : 7 و 2

الذرات و الأمت من جديد مشكلة الارض وما يحيط بها من مياه ، وهكذا يتصورون أن الكائنات كلها صدرت من جسم الاله وهي الا جزء منه ، ولذلك فالاله يحيط بكل المخلوقات وجسمه مؤلف من العناصر التي تتكون منها المخلوقات بعد أن تولد ثم تتحلل هذه المخلوقات من جديد الى تلك العناصر ، وبهذه الصورة تتم حركة الحياة كدوران العجلة[1] .

يظهر من تباين هذه الاساطير أنه كان هناك مدارس فكرية ، واتجاهات دينية ، وتيارات مختلفة ، وهذا بطبيعته يكون نتيجة تعدد الشعوب واللغات في المنطقة ، وعلاقة الديانة الهندوسية بغيرها من الاديان المجاورة ، وكذلك مخالطة الآريين في طريقهم أثناء غزوهم الى الهند - الايرانيين فتأثروا بعقائدهم وفلسفاتهم[2] ، وعند حلولهم بأرض الهند وجدوا ديانات ، وأفكار الهنود الاصليين فحدث امتزاج بين الافكار والمعتقدات ، كما حدث اصطدام زاد في درجات الغلو والشذوذ وعلى العموم لا توجد آثار للوحي في المعتقدات الهندية وكلها وثنية مادية ماعدا قضية أن الاله أول ما خلق . خلق الماء ، أو بعض الاساطير التي تنص على أن الله موجود قبل الخلق . وهذا قد يكون من المكتسبات التي اكتسبها الفكر الهندي من الحضارة السامية القديمة .

---

[1] توسناف ليون . حضارات الهند . ص : 2 و 5 ، 335

[2] أحمد شلبي . مقارنة الاديان . ص : (4/40)

قصة الخلق عند الصينيين : يوجد في الصين عدة ديانات وثنية منها ما أصله من الديانة الطوطمية كعبادة الظواهر الطبيعية ومنها ما كان أصله مذهبا فلسفيا تطور الى دين .كالكونفوشيوسية والطاوية التي تطورت بمرور الزمن الى عقيدة دينية ، وهناك البوذية التي نزحت من بلاد الهند التي اضطهدت في مسقط رأسها من قبل طائفة البراهمة . فوجدت في بلاد الصين ملجأ لها : كما انتشر بين الصينيين عبادة الاجداد ، وزيارة القبور والطقوس المنزلية ، وتقديم القرابين لارواح الاجداد[1] . ان المذاهب الفكرية الفلسفية كالكونفوشيوسية ، والبوذية لم ترد فيها فكرة النظر في قضية الالوهية ، وعملية الخلق الا أن هناك روايتين وردتا عن كونفوشيوس مرة اعترف بالله وبواحدانيته ، واخرى أنكر فيها وجود اله خالق . فاعتراف الكونفوشيوسية يتمثل في اقرار كونفوشيوس بوجود اله يدبر الكون بحكمته ، وانه يجب أن يعبد دون سواه[2] ويؤكد محمد أبا زهرة يقول عن الكونفوشيوسية : «ليس عندهم منشئ أو منشأ . بل المنشئ لديهم من ذات المنشأ»[3] أما قصة الخلق فلم تذكر عندهم ، وكل ما جاء فيها عبارة عن أساطير شعبية متوارثة نابعة من معتقدات وثنية تؤلهه الظواهر الطبيعية . فيتصورون أن أول الخلق كان انسانا يسمى : (يان كو) وهو الانسان الاول الذي فصل السماء عن الارض أول مرة ، وجعل السماء تعلو كل يوم 10 أقدام فتتكشف وتتراجع كل يوم 10 أقدام ، وتطول ستة (يان كو)

---

1) محمد أبوزهرة . مقارنة الاديان . ص : 70
والبان ج ويد جيرى . المذاهب الكبرى في التاريخ . ص : 12
2) أحمد عبدالغفور عطار . الديانات والعقائد . ص : 146
3) محمد أبوزهرة . المصدر السابق . ص : 78

كل يوم بمقدار 10 أقدام وبعد مرور 13 ألف سنة توقفت العملية وصارت السماء من الارتفاع ما هي عليه الآن والارض ما عليه من كثافة ، وتجمعت أنفاس (يان كو) التي كان يخرجها أثناء عمله فصارت رياحا وسحابا . وتكلم فقصف لصوته الرعد ، ولمح فكان لمعان عينيه صار برقا . وسالت دموعه فجرى النهران الكبيران في الصين ، ومست (يان كو) فتحول جسده الى أرض و صارت عظامه جبالا ، وصارت عيناه شمسا وقمرا ، واستحال شعر جسده نباتاتا ، وعرقه مطرا ، وسال شحمه ففاضت منه سائر البحار والمحيطات والحشرات التي كانت تعيش على جسمه استحالت الى آدميين (1) .

بدأت هذه القصة بوجود الانسان الاول (يان كو) ولم تذكر لنا مصدره أهو مخلوق أم خالق ؟ ولم يرد في الأسطورة سبب وجود المادة التي تكونت منها السماء والارض ، ويبدو أن نص القصة مبتور منه مقدمات تبين سر وجود هذا الانسان الاول . وهذا التصوير لعملية الخلق يشابه ما كان يعتقده اليابانيون الذين يعتقدون أن العالم كله هو مجموعة الجزر التي تشكل اليابان ويتصورون أن السماء قريبة منهم وأن سبب وجود المخلوقات على وجه الارض هو : انطلاق سهم طويل اتجاه السماء فاحدث فيها ثقبا . فسقط منه آلاف الاشجار وجميع الكائنات الحية وهذا هو الطريق الوحيد الذي جاءت منه الكائنات الحية والانسان الى الارض (2) .

---

1) اول ديورانت . قصة الحضارة . ص : (4/ 14 ، 15)
وعباس محمود العقاد . من يانس أبو الصنمين . ص : 35

2) اسليمان مظهر . قصة الديانات . ص : 244 ـ 257

الباب الثاني

قصة الخلق في المصادر اليهودية والمصادر الاسلامية

الفصل الاول : قصة خلق الكون في المصادر اليهودية والاسلامية

1 ـ في المصادر اليهودية :

نبذة تاريخية : يعد الكتاب المقدس أهم ، وأقدم مصدر تاريخي يعتمد عليه اليهود في تحديد أصولهم العرقية ، والحضارية والدينية ، ولكن هذا المصدر عند غيرهم وثيقة تاريخية قابلة للتسويب ، وانما ارتأينا فيما سنعالجه ودرسه بواسطة طرق النقد العلمي ، ومقارنة نصوصها بالمكتشفات الاثرية . وهذه الدراسة جعلت الكتاب المقدس موضع البحث ، والمقارنات في تحقيق الوقائع . لقد قسمت التوراة تاريخ اليهود الى ثلاث مراحل أساسية : أولها نشوء الجماعة العبرية الاولى في مدينة أور وهجرتهم بقيادة ابراهيم أب اليهود من أرض الرافدين الى أرض كنعان[1] . وعد الرب ابراهيم بأن يرثه أرض كنعان ، كما جاء في سفر التكوين : 7/15 «وقال أنا الرب الذي أخرجتك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الارض لترثها» والمرحلة الثانية تبدأ من هجرة يعقوب ، وبنيه الى أرض مصر والتي تمت فيها تحت الحكم الفرعوني المستبد الذي استعبد بني اسرائيل ، واضطهدهم . ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي : الخروج من مصر ، والاتجاه الى أرض فلسطين . ويعد هذا اليهود مرحلة التنسج ، والتي تم فيها بناء الديانة ، والقومية اليهودية ، وفيها جدد موسى مع الاله يهوه عهد وميثاق بني ابراهيم ، وأعلن الشريعة الربانية.[2]

---

1 ـ أحمد سوسة . ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق . ص : 14
ومراد كامل . الكتب التاريخية في العهد القديم . ص : 24

2 ـ سبيتينو موسكاتي . الحضارات السامية القديمة . ص : 140

وعندما يرسل سيدنا موسى عليه السلام بقومه الى مشارف فلسطين ويطلب منهم الدخول الى أرض الميعاد فتتعاسوا عن القتال فتحرم عليهم عليه السلام . وقال تعالى في ذلك : «انها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين» (26 المائدة) عقابا لهم على تمردهم وعصيانهم ، وليتم التخلص من ذلك الجيل المشبع بالمعتقدات الوثنية وينشأ جيل جديد .

بعد مرور فترة التأديب (40 سنة) استطاع يوشع قيادة الجيل الجديد وفتح به أرض فلسطين ، وكانت الحرب بينهم وبين الفلسطينيين سجالا ، وتعرضت المنطقة الى الغزو الخارجي مرارا ؛ وكان التنافس بين اسباط بني اسرائيل على السيطرة ، والحكم سائدا الى سنة 1020 ق.م تم اختيار شاؤول الذي استطاع أن يوحد المملكة تحت حكمه الملكي وحقق انتصارات ضد الفلسطينيين، ولكن بني اسرائيل لم يرضوا بحكمه فدبروا لقتله ، فخلفه داوود سنة 1000 ق . م واستطاع داوود أن يوحد اسرائيل من جديد ويفتح القدس، ويتفانى على الخلافات وفي سنة 961 ق.م تولى الملك ابنه سليمان الذي يعد عصره العصر الذهبي لبني اسرائيل (1) ، قال تعالى : «ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين» (16 النمل) ولكن ما لبث أن دب الخلاف بين بني اسرائيل بعد وفاة سليمان فانقسمت مملكتهم الى دولتين : اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة ويهوذا في الجنوب وعاصمتها اورشاليم ، وكان التنافس بين المملكتين على أشده . وما ان حلت سنة 722 ق . م حتى غزى الاشوريون

---

1) سيتينو موسكاتي . الحضارات القديمة . ص : (142 ، 143)

مملكـــه اسرائيـــل وقضـــوا عليهـــا ، كمـــا تـــم القضـــاء علـــى مملكـــه يهوذا من قبـــل البابليـــين ســـنه 586 ق. م ونفـــى ابنائهـــا الـــى بـــابـــل (1) . وبعـــد النفـــي البابلـــي تبـــدأ مرحلـــه جديـــده فـــي تاريـــخ بـــني اســـرائيـــل : فمنذ ذلـــك الحـــين أطلـــق عليهـــم اســـم اليهـــود نســـبـــه الـــى دولـــــه يهـــوذا الـــتي تنســـب الـــى يهـــوذا الابـــن الرابـــع ليعقـــوب : لان مواطنيه كـــانـــوا مـــن نســـلـــه ، ونســـل بنيـــامين (2) . وفـــي المنفى تكـــون الشعور القومـــي ، والديـــني المميز للشعـــب اليهـــودي عـــن غـــيره ، وفـــي تلـــك الفـــترة الـــتي عاشهـــا يهـــود اســـرائيـــل فـــي بابـــل ظهـــرت فيهـــم شخصيـــات تبنـــت الاتجـــاه الفكـــري الجديـــد لليهـــود ، وأرســـت قواعـــده الاولى ، ومنهجـــه وأهـــم الشخصيـــات المنشـــورة للفكـــر اليهـــودي الجديـــد : حزقيـــــال ودانيـــال . والـــذيـــن وضـــعوا القواعـــد الاساســـية فـــي صياغـــة الكتـــاب المقـــدس جـــاؤا بعـــد حزقيـــال ، ونســـجوا علـــى منوالـــه ما تبقـــى مـــن أســـفار الكتاب المتلاحقة فلبـــث عـــزرا ونحميـــا أول الشخصيـــات المقعـــدة فـــي هـــذا البـــاب .

لقـــد ظهـــر حزقيـــال فـــي الفـــترة ما بـــين (593 ـ 570 ق.م) فـــي بابـــل ، وكـــان يقيـــم فـــي التـــل على نهـــر الخابـــور ، ومـــا زال ضريحـــه هنـــاك يحـــج اليـــه اليهـــود الـــى اليـــوم ، وهـــو أحـــد رواد اليهـــود فـــي المنفـــى ويعـــده اليهـــود نبيـــا مـــن انبيائهـــم ، ولـــه ســـفر باســـمه فـــي الكتـــاب المقـــدس ، ويـــرى بعـــض العلمـــاء ، أنـــه أول ســـفـــر كتـــب فـــي الكتـــاب المقـــدس وانحيـــفـــت مـــن حولـــه بقيـــة الاســـفار (3) . ان هـــذا الســـفـــر يعـــرى التـــوراة تعريـــة تامـــة ، ولعـــل هـــذا هـــو ســـبب تجاهل ، بـــل رفـــض (ســـفـــر حزقيـــال) مـــن قبـــل العلمـــاء والباحثـــين ... فـــان جميع الاســـفار

---

1) اسبيتيلو موسكاتي . الحضارات القديمة . ص : 146

وأحمد سوسه . ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق . ص : (24 . 25)

وسنيل ديب . التوراه بين الوثنيه والتوحيـد . ص : 79

2) أحمد سوسة . المصدر السابق . ص : (134 ، 27)

والتوراه تاريخهـا وغاياتهـا . ترجمه : سنيل ديب . ص : 15

3) أحمد سوسه . المصدر السابق . ص : 148

التوراتية الآخرى ليست سوى مدراش: [شروح] يدور حوله ويتوسع فيه» (1) فسفر حزقيال يعد النواة التي بنيت من حولها التوراة، فهذا يثبت أن ما ألف في ديانة وتاريخ بني اسرائيل كتب بعد الغزو البابلي والاحداث السابقة لهذا العهد ما هي الا أساطير تناقلتها الاجيال في شكل قصص وتخيلات أفرزتها العقلية اليهودية الجديدة. أما دانيال الشخصية الثانية بعد حزقيال. فعاصر نبوخذ نصر محطم دولة يهوذا، وفاتح أورشاليم. وله سفر باسمه في الكتاب المقدس كتبه ليهيد الامل الى نفوس اليهود المنهزمة، ويحفزهم على الاجتهاد في السعي للعودة الى أرض الميعاد.

في القرن السادس قبل الميلاد في السنوات (546 ـ 539) غزى قورش الاخميني الفارسي بلاد بابل، ودخل العاصمة سنة 539 ق.م بدون مقاومة أثناء احتفال أهلها بمناسبة دينية، ولم يسلب أو ينهب بل أكرم الحكام، وأفشى السلام، واطلق الحريات للاديان والثقافات، ولم يعتمد أحدا على اعتقاد (2). فاستغل اليهود الفرصة وتقربوا الى قورش وأعطوه أخت زور* ببابل زوجة له فاستطاعت هذه اليهودية أن تمكن من قورش وتطلب منه أن يعيد بني اسرائيل الى اورشاليم بعد ما فتحها، فلبى رغبتها، وخيرهم بين الهجرة، والاقامة، فهاجرت طائفة، ومكثت طائفة أخرى في بابل. وفي هذه الفترة ظهر عزرا ونحميا، وكانا موظفين في بلاط الملك، فهاجرا الى اورشاليم وقام عزرا بمسح لجنة من علماء اليهود

---

1) التوراة تاريخا وغاياتها: ترجمة سمير ديب: ص: 43، 44

2) أحمد سوسة. ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق. ص: 153، 147

- Charles.F.Jean. Milieu Biblique.tome:1/157, 158

عبد الحليم عبد الرحمان خضر. مفاهيم جغرافية في القصص القرآني. ص: 235، 265

*) زورابيل بن شلائل بن يهوياكين آخر ملوك يهوذا

ليكتب لليهود كتابا يحفظ شريعتهم وتاريخهم «وكانوا موجهين بالكاهن الاول الذي وضعه حزقيال في المنفى فتلقد مؤلفوا الكتاب المقدس الاشعار البابلية ويظهر هذا في صياغة نصوص الكتاب ونمثل على ذلك أسطورة الخلق»[1] وهكذا يقر معظم العلماء الباحثين في الكتاب المقدس وتاريخ بني اسرائيل أن الاسفار الخمسة المنسوبة الى سيدنا موسى عليه السلام، لم تؤلف الا في القرن الخامس قبل الميلاد على قرار ما كتبه حزقيال[2]. الذي ألف كتابه على نسق أساطير بابل، في تصوره لله وروايته للاحداث التاريخية السابقة لعصره، وأدى تباين تصور المؤلفين واختلاف بيئاتهم الى تباين المصطلحات المستعملة، والاساليب الروائية واختلاف اللهجات بحيث نجد بعض النصوص باللغة الارامية القديمة، تتخلل نصوص الكتاب العبري، مما يجعل النصوص تتضارب وتحتوي على متناقضات لا يتقبلها العقل. ومن هذه المفارقات يمكننا أن نستدل على المدارس الفكرية التي شاركت في تأليف هذا الكتاب.

المدارس الفكرية في التوراة: لقد ذهب معظم الباحثين في التوراة الى أن الكتاب المقدس ألف في فترات زمنية متباعدة، وذلك لاختلاف اللهجات المستعملة في النصوص وهذا أتاح الفرصة لتدخل ومشاركة عدة مدارس مختلفة عقائديا في تأليف وتجميع نصوص هذا الكتاب، على توافق بينهم، وهذا التوافق يجعل جميع الاتجاهات تلتقي في الكتاب المقدس، وتتوحد جهودها في خدمة القضية اليهودية وتجعل اليهود هذا المزيج كدين جديد، وديانة اليهود لها وجهان. وجه ظاهري يمثله الكتاب المقدس، ووجه باطني يمثله نشاطات الجمعيات السرية المتمثلة في ما يسمى بالتلمود

---

1) C. Toussaint. Les origines de La religion de israél: 32; 33

2 اسرائيل ديب . التوراة بين الوثنية والتوحيد .ص: 78 ، 79

والتوراة وغايتها . ترجمة . سرئيل ديب . ص : 35 ــ 36
ومراد كامل الكتب التاريخية في العهد القديم . ص : 52

1) المدرسة اليهوية : تنسب هذه المدرسة الى يهوه اله بني اسرائيل ، وهذا اللفظ ناقص الدلالة ، الا انه على اسم الله عند بني اسرائيل ، ويحتمل انه مشتق من كلمة ياهو احد الهة الحثيين . ويرجع بعض المؤرخين ظهور هذه المدرسة اتجاها فكريا جديدا الى القرن الحادي عشر قبل الميلاد (1) . وتمتاز هذه المدرسة بالبراعة في الاسلوب ، فهي تشبه المذهب الواقعي في وصفها للاساطير ، اذ تحكي قصصا تصور فيها عمليات الزنا وتنسبها الى الانبياء بوقاحة دون اللجوء الى مواراة ، ورمزه والمحور الذي تدور حوله فكر المدرسة : هو تثبيت فكرة شعب الله المختار في العقلية اليهودية ويظهر فكر واسلوب اليهوبين في سفر التكوين بدء من قصة الخلق الى هجرة بني اسرائيل الى مصر .

2) المدرسة الايلوهيمية : نسبة الى كلمة ايلوهيم ومعناها : آلهة جمع لكلمة إل التي تعني اله فهي تدل على التعدد ، ويرجع المؤرخون نشوء هذا الاعتقاد في الشعب اليهودي الى سنة (750 ق . م) قبيل زوال مملكة اسرائيل ، ولغة هذه المدرسة اكثر تميتا وتهذيبا من لغة المدرسة اليهوية ، وهي اكثر عقلانية وتعتمد على التشابيه والتورية لتوجيه رسالتها ، ويعود للمدرستين اليهوية ، والايلوهيمية تحرير منظم سفري التكوين والخروج (2) ، كما تظهر آثار هاتين المدرستين في الاصحاحات الثلاثة الاولى من سفر حزقيال ، حيث يصور حزقيال ذات الله في صورة بشر نحاسي يركب مركبة تجرها حيوانات تشبه الحيول . وفيه انه جرى بينه ، وبين هذا الاله حوار مباشر تلقى فيه الاوامر التي وجهها الى شعبه ونقل في سفره سخط الله اسرائيل على شعبه حين عبدوا غيره من الهة الشعوب المحيطة مثل الاله تموز ، والشمس ، ويظهر

---

1) Roger caritini . encyclopedie . Bordas : probleme decritique de l histoire : Par

2) اسرائيل ديب . التوراة بين الوثنية والتوحيد . ص : 14

أسلوب المدرسة الينوبية والايلوهيمية . في سفر حزقيال (الاصحاح 23) في قصة الزانيتين الاسرائيلتين اللتين يرمز بهما الى عاصمة اسرائيل السامرة واورشاليم عاصمة مملكة يهوذا . حيث يصور أسباب سقوط المدينتين في يد الاشوريين والبابليين بعملية الزنا الخاسر ، وكان جزاء ما فعلن بتصيرها القتل ، والابادة .

3) المدرسة الكهنوتية : اهتمت هذه المدرسة بتحديد أصول وفروع بني اسرائيل وعددهم ووضعت قوانين تضمن للطبقة الكهنوتية السلطة ، وسراعاة التشريع للشعب ، كما وضعت طقوسا دينية تضمن للهيكل ، وتوفير المآكل ، والمسكن دون سعي ، وعناء وهذه المدرسة مسؤولة عن تأليف سفر العدد ، وانلاويين وجزء من التكوين والخروج وتظهر آثار المدرسة الكهنوتية في سفر حزقيال بلية ، فالتحذير جاء في (الاصحاح 44 ، 30) «يأكلون التقدمة ، وذبيحة الخطيئة ، وذبيحة الاثم ، وكل محرم في اسرائيل يكون لهم وأول كل الباكورات بجميعها ، وكل رفيعة من كل رفائعكم تكون للكهنة»

4) المدرسة التشريعية : هي المسؤولة عن كتابة الشريعة والاحكام ، وتمتاز بخطابها القانوني الذي يقنن لبني اسرائيل الاحكام الشرعية (1) . وهذه المدرسة هي التي كتبت سفر التثنية أحد الاسفار الخمسة ، كما اننا نجد أسلوب هذه المدرسة في سفر حزقيال الاصحاح (40/ 15) «تعمل عليه تقدمة صباحا ، صباحا سدس الايفة وزيتا ثلث الهين لرش الدقيق . تقدمة للرب فريضة أبدية دائمة» جميع المدارس التي شاركت في تأليف الكتاب المقدس نجد اثارها في سفر حزقيال ، وكأن هذا السفر ملخص للكتاب المقدس ، وأن الكتاب المقدس شروح موسعة لهذا السفر

---

1) التوراة تاريخها وغاياتها . ترجمة سهيل ديب . ص : 15

والفترة الاخيرة أقرب الى الصواب ، لان سفر حزقيال الذي أثناء فترة المنفى البابلي قبل تجميع الكتاب المقدس ، وبعد حزقيال تأتي مرحلة نسخ المدارس الفكرية التي نشأت من قبل ، وقطفت ثمارها على يد عزرا ، ونحميا بعد العودة من المنفى ، وهذا يجعل سفر حزقيال أحد الاعمال السرية لليهود ، ونسج منهجا لتأليف الكتاب المقدس الذي خطط له من قبل ، ونشر هذا السفر ضمن الكتاب المقدس لابعاد الانظار عن الاعمال السرية وفي الوقت نفسه لم يعد اخفاء السفر مفيدا بعد أن أدى دوره ، حيث لا يشكل على جمعيات تعلم السرية أي خطر ، وقد استحكمت هذه الجمعيات في رقاب اليهود وأبعد الانبياء واتباعهم ، على يد الانظمة الوثنية المحيطة بهم ، فأراد اليهود أن يؤسسوا قومية يهودية لها نظام سياسي ، واجتماعي متميز على نسق ما هو موجود عند الشعوب المتاخمة لهم ، وبالتالي فقدت تعاليم الوحي أثرها على أنفسهم وصار الانبياء مجرد شخصيات اصلاحية ظهرت في مراحل تاريخية نتيجة لظروف مر بها المجتمع اليهودي ، وهكذا اعطت الجمعيات السرية لنفسها شرعية الاشراف على توجيه الشعب الاسرائيلي ، وتقرير مصيره بين الشعوب ، وظهرت فرق فكرية في الديانة اليهودية الجديدة كالفريسيين ، والصادوقيين وباقي الاوائل لتلك الجمعيات التي تعمل في الخفاء ، وكان بينها تناحر ، وصراع على السيطرة ، ثم انتقل هذا الموروث من قيادة بني اسرائيل الى وريث قيادة جميع شعوب الارض من عقيدة شعب الله المختار الذي يملك الوحي المنزل على موسى خاتم الانبياء والمرسلين ، وبعد تأسيس هذه الجمعيات السرية شرعوا في قتل الانبياء ؛ لأنهم يرفضون منهجهم ، ويحاربون التعدد ، وينادون بالوحدانية لله وهذا يسلب اختصاصهم بفكرة شعب الله المختار ، ومع تطور الزمن اكتمل تجميع وتأليف

كتابا آخر اكثر سرية يحمل اراء الحاخامات الفقهيه والتفاسير والشروح التي اضافوها وهذا الكتاب فقد اليهود المعاصرين اقدس من التوراه ويسمى (التلمود) وهو بمثابه تفسير باطني للتوراه :ولقد ورد في سفر اسدراس الثاني الذي لم يعترف به ظاهريا : ان موزا املى 94 سفرا . اظهر منها 24 للشعب واخفى (70) لا يطلع عليها الا الحكماء[1] . فلعل هذه الاسفار كانت هي التوراة في تكوين التلمود لدى الاجيال اللاحقه بعد ذلك : كما ان اللفائف المكتشفه في وادي قمران التي جاءت تؤكد وجود اسفار العهد القديم القانونية باستثناء سفر استير[2] لدليل على ان هذا السفر اضيف بعد ذلك . وهذا يؤكد حرص اليهود على التشدد في السريه وعدم الاعلان عن تصور التلمود الا لي في الحكماء . وما دام الدين اليهود 45 يشمل جزءا سريا لم معروف عليه بعد راسه هذا الدين لا تكون شاملة لانها لا تتناول سوى الكتاب المقدس او ما اشاعه اليهود ، ويبقى العديد من الحقائق تحت طي السر والكتمان . ولقد فحص الكتاب المقدس من قبل علماء مختلفين في جنسياتهم واديانهم وكانت محصلة دراستهم بشكل عام كالاتي :

1) ان كاتب التوراة ليس واحدا بوانما منقوله من عدة روايات مختلفه[3] في مضمونها وصياغتها ، وحتى في لغتها التي كتبت بها او رويت بها

2) الفت التوراه خلال زمن طويل[4]

---

1) سهيل ديب . التوراه بين الوثنيه والتوحيد . ص: 105، 106

2) المرجع السابق . ص: 86 . وعباس محمود العقاد . عبقريه المسيح . ص: 14 الى 19

3) Roger caritini. Encyclopedie.Bordas:probleme de critique de L histoire, Par: 2 69،5823 وسبينوزا .رساله في اللاهوت والسياسه .ترجمه: د .حسن حنفي .ص: 81/1 وصلاح العجاوي . جواهر الايمان في صحيح الاديان .ص: 15،13

4) علي عبد الواحد وافي . اليهوديه واليهود .ص: 15،13

3ـ أكبر جزء من التوراة كتبت في الفترة ما بين القرن الخامس قبل الميلاد الى الاحتلال الروماني[1].

4ـ لا يوجد سند للتوراة ولا تعرف اللغة الاصلية للنص[2].

5ـ اقرار علماء اليهود انفسهم بتحريف التوراة. ومن بينهم سبينوزا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة بين الخلط الذي وقع فيه كُتّاب التوراة بين الحقيقة والخيال «وقال السموأل : ان هذه التوراة التي بايدينا هم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله ولا يعتقد أحد من علماء اليهود البتة ان هذه التوراة التي بايدينا هي المنزلة على موسى[3]».

6ـ أما العلماء المسلمون فقد درسوا التوراة دراسة وافية وفحصوها تمحيصا دقيقا وطبقوا عليها منهج النقد العلمي في السند والمتن، فالسند ثبت عدمه، والمتن ثبت تعدده، ومخالفته للمعقول، والواقع وذلك أن بايدي السامرة توراة غير التوراة التي بايدي اليهود، ويزعمون أنها منزلة، ويقطعون ان التي بايدي اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون ان التي بايدي السامرة محرفة مبدلة[4]. وأدلة بن حزم تجزم أن التوراة محرفة، وأكبر دليل على ذلك وارد في الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني الاصحاح 23 حيث يصرح النص بأن التوراة فقدت ردحا من الزمن، : ثم اكتشفت فجأة على يد الكاهن حلقيا أثناء ترميم المعبد في كوة بالبدار[5]. بالرغم من تحريف التوراة، فانها تعد المصدر الرئيسي لتاريخ اليهود ومعتقداتهم ولذلك فكل دراسة للفكر

---

1)Roger caritini.encyclopedie Bordas:probleme de critique de L histoire:Par,222
وسبينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة . ترجمة : د حسن حنفي . ص : 63 ، 64.

2) رحمة الله الهندي . اظهار الحق . ص : 1 / 103 ، 108.
3) محمد عبد الله الشرقاوي. في مقارنة الاديان بحوث ودراسات . ص : 116.
4) ابن حزم . الفصل في الملل وأهل الاهواء والنحل . ص : 1/ 202.
5) رحمة الله الهندي . المصدر السابق : قال «لقد أعلن الكاهن الراروني الاكبر حلقيا أنه عثر عليها في الهيكل عند اشرافه على ترميمه بتكليف من الملك يوشيا ابن آمون ، فما ان رآها الملك حتى عظمها وقدرها . . . وجمع بني اسرائيل وقرأها عليهم وفي هذا بيان واضح ان هذه التوراة كانت مفقودة ومفقودة من زمن بعيد جدا». ص : 1/ 433 ـ 434.

اليهودي ترجع الى الكتاب المقدس، ومن هنا ندرس عقيدة اليهود في قصة الخلق على نحو ما جاء في العهد القديم . أما ما ذهب اليه مفكروهم في هذا الجانب فيُعد شرحا ،أو تفسيرا ،أو استنتاجا من القصة التوراتية.

قصة الخلق في التوراة : يفتتح العهد القديم في سفره الاول:التكوين بقصتين للخلق مختلفتين ، فالاولى تتسم عملية الخلق الى ستة مراحل على مدى ستة أيام ، في كل يوم يُنجز قسم من المخلوقات الى أن تختم عملية الخلق بخلق آدم عليه السلام. أما القصة الثانية الواردة في الاصحاح الثاني سفر التكوين : فلم تتسم عملية الخلق الى مراحل ، بل جعلت الانسان أول المخلوقات بعد السماء والارض ، ثم خلقت بعده النباتات والحيوانات . وجاء في الاسفار الاخرى من العهد القديم اشارات الى قصة الخلق ، لكن يظهر فيها تأثير الحضارات القديمة التي عايشها اليهود

أ- قصة خلق الكون :نذكر القصة بوجزيها كما جاءت في التوراة.

1- القصة الاولى : الاصحاح (1) سفر التكوين .

اليوم الاول : في البدء لم يكن سوى الماء والظلام ، ثم خلق الله النور وعندما رآه حسنا أبناه وفصله عن الظلام ، وهكذا تكمل اليوم فكان اليوم الاول .

اليوم الثاني : خلق الله جلدا وسط الماء وجعله حاجزا بين مياه فوقه وأخرى تحته وهذا الجلد سماه السماء.

اليوم الثالث : تجمعت المياه تحت السماء في مكان واحد ، ثم أمر الله بتكوين اليابسة في وسط المياه وسماها الارض وسمى المياه بحارا وخلق فيها نباتات .

اليوم الرابع : خلق الله السيارات والنجوم في فسحة السماء ، وخلق الشمس والقمر وجعلها دليلا على الليل والنهار.

اليوم الخامس : خلق الله الزواحف والحيتان والطيور والتنانين .

اليوم السادس : خلق الله وحوش البرية والدواب ، ثم خلق الانسان على صورته وسلطه على بقية المخلوقات ، ثم بين رزق كل كائن .

اليوم السابع : بعد نهاية عملية الخلق استراح الخالق في اليوم السابع وجعله عيدا .

2- القصة الثانية : تقول هذه القصة أن الله خلق السماء والارض ، ثم خلق آدم من تراب الارض ، وغرس له جنة عدن فيها كل أشجار الفواكه ثم أراد الله أن يؤنس وحشة آدم فخلق له حيوانات البرية والطيور من تراب الارض وعرضها على آدم ليسطى لكل كائن اسمه ، وفي الاخير سلط الله على آدم السبات ، ثم أخذ منه أحد أضلاعه وخلق منه حواء زوجة آدم .

فهذا التباين بين القصتين يظهر لنا أن القصتين لم تكونا من تأليف شخص واحد بل من شخصيات مختلفة (1) . لانه ورد في كل من القصتين أن عملية الخلق بدأت بخلق السموات والارض أولا ، ثم خلقت بقية المخلوقات ، وتختلف القصتان في المادة الاولى الاسبقة للاشياء وهي : الماء الذي خلقت منه الحيتان والطيور ... الخ ، أما القصة الثانية فانها تبدأ بخلق السماء والارض ومن تراب الارض خلقت جميع المخلوقات التي تعيش على سطحها .

وفي الاسفار الاخرى للكتاب المقدس وردت روايات مختلفة في مضمونها ومطلحاتها تتحدث عن أساطير تشبه أساطير الخلق عند الامم السابقة لليهود : فجاء في بعض الفقرات أن الاله بارع تين الحماء والظلام المناهض لاعمال الله ، وهذا من تقليد مؤلفي العهد القديم للاشعار البابلية (2) . وهذا يجعل لله أنداد يتبارع معهم ، وبالتالي ان فكرة الخلق من العدم لا توجد أبدا في التوراة (3) . ولا يستطيع كاتبها تصور العدم لانه يعتقد أن هناك

---

1) The interpreters of Bible: 465
and Encyclopaedia Judaica. Volume: 5 / 1059
و صموئيل شيري شوورث . منطلق السخية البترية . ص : 33 .
و بيسر فريز . النزلكلور في العهد القديم . ص : 55 .

2) C. Toussant. Les origines de religion d israraél: 32
و محمد أحمد ذياب عبد الحافظ . الرد على اليهودية . ص : 67 .
و حسام الدين الالوسي . الزمن في الفكر الديني الفلسفي القديم . مجله : عالم الفكر . عدد ابريل 1977 . ص: 8/ 12 0

3) نفس المصدر السابق .

أما تيامات الله في التدم كسماء السماء فاستعمل كلمة تروم(תהום) تعبيرا عن الحالة السابقة للخلق، واذا ترجمنا الكلمة نجد معناها هوة، أعماق، هاوية، قاع البحر[1]. ومن هذه المعاني للكلمة تروم يتضح تقاربها من كلمة تيامات الاكادية التي تعني تنين المياه[2]. ومن تلك الآيات التي خلق النور والظلمة، وجعل النور دليلا على النهار والظلمة دليلا على الليل : قبل خلق مصدر النور (الشمس) ولم يكن آنذاك أرض يتحقق فيها وجود النهار والليل، وكان كاتب التوراة يتوهم أن النور والظلام شيء مادي، ولذا قال : في تلك الدرجات التي وجدها الله لفرعون أن الظلام يلمس[3] «ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس الظلام» (سفر الخروج 10/21) ولهذا أكبر دليل على التحريف، ونجد بعض الباحثين المعاصرين يقررون وجود خلق النور والظلمة قبل وجود مصادر النور (النجوم) التي ما توصل اليه علماء الطبيعيات من نظريات وفلكيه فقال «ان مادة الكون كانت كتلة واحدة ذات كثافة عالية تصل الى مليار طن في اللتر ووقع انفجار توسعت فيه جزئيات المادة، وتشكلت تركيبات المادة فصدر عنها أنواع الانظمة المتكاملة للكون وهذا يقارب قول الرب ليكن نور فكان نور»[4]. لكن كاتب التوراة يقرر أن الظلمة دعاها الرب ليلا والنور دعاه نهارا، ولم يكن الكاتب يتصور أن الظلام معناه غياب النور الذي تدركه حاسة البصر، بل انطلق من ظاهرة الليل والنهار وعلى أساسها فسر معنى النور والظلام، وعجزه لا يدرك المعنى الحقيقي للنور والظلام، ويتصور أن الكون مركب من جزئين، جزء مضيء وهو النهار وجزء مظلم وهو الليل

---

1) ر. تشوجبسان . تاريخ عبرات غريبي . ص : 997 .

2) هـ فرانكفورد وآخرون . ما قبل الفلسفة . ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . ص : 57 .

-The interpreters of Bible : 467

3) عصام الدين منفي ناصف . اليهودية بين الاسطورة والحقيقة . ص : 10 .

4) Lancelot.Herrisman. L univers est né en 3 munutes. Sciences et vie N°: 722 Nov:1977.P: 54-57.

وأن الارض سطح ثابت وتتحرك فوقه على وجه السماء النجوم والشمس والقمر وهذا الاعتقاد مكتسب من عقائد المصريين القدامى في قصة جورس الذى يحلق في السماء ليهاجم أعداءه ، وعند فرارهم يعود الى سفينته فيكون تحليقه يمثل طلوع الشمس وهبوطه لسفينته يمثل الغروب والليل ، ولذا جاء خلق الشمس والنجوم في القصة التوراتية متأخرا الى غايه اليوم الرابع ولا يتفطن المؤلف فيقول «فعمل الله النورين العظيمين . النور الاكبر لحكم النهار والنور الاصغر لحكم الليل (سفر التكوين 1/17) بمعنى أن وجود الليل والنهار تأخر خلقهما الى اليوم الرابع وهذا من تناقضات العقل المتحجر لانه ذكر وجود ثلاثة أيام بليلها ونهارها وقعت قبل وجود هذا اليوم الرابع الذى تحدده حركة الشمس وكذلك في اليومين الاولين أين يكون وجود الليل والنهار ما دامت الارض لم تخلق بعد ؟ وهذا يرجع الى أن كاتب التوراة لم يستطع تصور انطلاق عملية الخلق من العدم فجعل نفس الخلق قائما «على استخراج النظام من العماء . وليس ابداع الوجود على المادة من العدم . . . حالة الكون البدائية هناك هي العماء الماء كما في الاسطورتين المصرية البابلية»[1]. والصورة التي يتخيلها للارض من مفهوم اللغة : انها سطح يابس يطفو على وجه محيط من المياه اللامحدود . ودائما تعترضنا وراء الله ذلك انه حين يأتي هذا يؤكد ان صورة الاله الخالق عند مؤلف التوراة تماثل صورة الاله (مردوك) عند البابليين أو (بتاح) عند المصريين وفي اليوم الثالث يأمر الله الارض أن تنبت النباتات ، وهكذا تتأخر الشمس عن النور الذى تصدره بثلاثة أيام ويتقدم النبات بيوم في الخلق وهو المرهون بوجودها إذ لا يمكن أن يوجد نبات دون ضوء الشمس . وكذلك يفهم كاتب التوراة أن النجوم أجسام مضيئة وضعت على الوجه السفلي للسماء : وهذا يعود الى انعدام مفهوم السماء ، حيث يعتقد اليهود انها قبة صلبة تشد وراءها الماء[2]. وفي الفقرة الموالية

---

1) حسام الدين الالوسى . الزمن في الفكر الديني الفلسفي القديم . مجلة : عالم الفكر عدد (يوليو 1977) . ص: 120/8

وصموئيل هنري هووك. منحنى الخيلة البشرية . ترجمة صبحي جديدي . ص : ٥٥ .

2) Denise .Masson.Monotelsme coranique et Monotelsme Biblique: P: 134

التي تنص على خلق الزاحف ، والطيور والحيوانات على وجه الارض مما يقبل نوعا ما لان تأخر الحيوانات عن وجود البيئة التي تعيش فيها من المعقول ، وكذلك تأخر خلق الانسان عن بيته ، وتنتهي القصة الاولى باستراحة الخالق من عناء عمليه الخلق خلال الايام الستة ، فيستريح في اليوم السابع السبت وتكرر السبت «يوم الراحة جاءت من عند البابليين لان لديهم هم أيضا يوما للراحة يسمى شباتو واتخذه العبريون يوم لراحة الاله منذ الازل »(1). وكذلك ورد في نظريه منف للخلق المصرية ان الاله (بتاح) استراح بعد صنعه لكل شيء(2). فهذا التشابه يؤكد لنا أن قصة الخلق في التوراة مستنبطة من قصص وأساطير الشعوب القديمة التي حكمت رقاب بني اسرائيل ولم يتمكن بنو اسرائيل على التخلص من الفكر الوثني الذي غزا عقولهم وهيمن على تفكيرهم فظهرت اثاره في انتاجهم الادبي والفني وحرف عقائدهم ، فاستبدلوا تلك الاساطير بالوحي المنزل على موسى والانبياء من بعده عليهم السلام .

2ـ القصة الثانية : سفر التكوين الاصحاح (2) الى الفقره (4) تبدأ القصة الثانية للخلق التي يردها أكثر الباحثين والنقاد الى المدرسة اليهوية(3) وهي أقدم من القصة التي انتجتها المدرسة الالوهية ؛ تبدأ القصة مباشرة بخلق الله موات والارض دون ذكر السماء التي خلقت منذ ، ثم يخلق الانسان من تراب الارض دون الاشارة الى أي شيء خلق قبله من المخلوقات الحية . «وجبل الرب الاله آدم ترابا من الارض. ونفخ في أنفه نسمة حياة» (التكوين 2/ 7) ولم يكن آنذاك حيوانات ولا نباتات فخلق الله جنة عدن وأسكن آدم فيها :«وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقا ووضع هناك آدم الذي جبله» (التكوين 2/ 8) ثم خلق الله نباتات الارض و الحيوانات ، وعرضها على آدم فأعطى آدم لكل كائن اسمه الذي يعرف به . ولم تذكر القصة خلق النجوم والشمس والقمر ، وقد جاءت اشارات متناثرة في الاسفار الاخرى للعهد القديم . أحيانا تحمل دلالات تناقض

---

1) I. epstein. Le Judaisme : traduit:L.Jospin parrait: P:21
2) انظر . فرانكفورد وآخرون . ما قبل الفلسفة . ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . ص : 73.
3) موريس بوكاي . التوراة والانجيل والقرآن والعلم . ص : (34 ـ 38).

ما جاء في القصة الاولى ، ففي المزمور (33/ 6) بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» وفي (33/ 9) «لانه قال فكان هو أمر فصار» وهذه العباره تناقض وتبطل القصة الاولى التي استمرت عملية الخلق فيها ستة أيام وبعدها انظر الخالق للاستراحه في اليوم السابع ، لان الخالق الذى يخلق بفعل الامر كن فيكون المخلوق بعدها مباشرة لا يحتاج الى استراحة أو ينتظر من المخلوق هل هو حسن أولا غير حسن ، ويتبلى لنا بشكل واضح تشبيه اله بني اسرائيل باله البابليين (مردك) في القصة البابلية ، في المزمور (33/ 14) من مكان سكناه يتطلع الى جميع الارض وهذا نقل مباشر لقصة مردك بعد ما انتهى من معركته مع تيامات تسلم المزمار على الالهه ، ثم استقر في كوكب يشرف على الارض ليدبر الحياة فيها ، ويعترف الكاتب بتعدد الالهه برواية صريحه في المزمور (110/ 1) قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» فلا عجب حين نجد ذكر قصة تنين الحماة البابلية ضمن الروايات الاسرائيلية ما دام كتاب التوراة يسرحون بتعدد الالهة ففي المزمور (74/ 13، 14) أنت فلقت البحر بقوتك وكسرت رؤوس التنانين على المياه أنت رضضت رؤوس لوياثان» فهذا تشبيه ان لم نقل نقل لملحمة الخلق الاكاديه التي تحدثنا عن الصراع الذى دار بين الاله مردك وتيامات والامساخ التي أرسلتها عليه[1] ثم يتغير اسم الميه التي صارعها اله بني اسرائيل من لوياثان الى رهب (المزمور 89/ 10) «أنت سحقت رهب مثل القتيل» و (أيوب 26/ 13) بقوته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب» بفخته السموات مسفرة ويداه ابدأتا الحية الزاربة» وكلمة البحر التي تدخل في الصراع تمثل المياه المالحة في ملحمة الخلق البابلية . ومره أخرى في (سفر اشعيا 27/ 1) في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الزاربه . لوياثان المتحويه [الملتفه] ويقتل التنين الذى في البحر» .

---

1) صموئيل هنرى هووك . منعطف المخيله البشريه بحث في الاساطير . ترجمة صبحي جديدى . ص : 61 .

كما نجد نصوصا تؤكد أن كتاب التوراة يؤمنون بحدوث الملاحم بين الله وغيره من آلهة الشر وآلهتها تنافسه في السيطرة على الكون ، ولا يستطيع الله بني اسرائيل القضاء عليها نهائيا وانما يغلبها فتفر منه . ثم تعيد الكرة مرة بعد مرة فيقول كتابهم (سفر اشعيا 51/9) « استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب : استيقظي كما في أيام القدم كما في الادوار القديمة الست أنت القاطعة رهب الطاعنة التنين . الست أنت هي المنشفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقا لعبور المفديين » ثم نجد في سفر أيوب الاصحاح (41) ان الرب استاد لوياثان واتخذ معه عهد سلام وصار يلعب معه ، ويستعمله كسلاح ضد الاعداء فكان الكاتب يقلد التعويذات التي أستخدمها مردوك ضد تيامات وكنجو واستطاع بذلك اصطيادها والقضاء عليها. وبالتالي صار الجسد القديم عبارة عن ملخص لمعتقدات المصريين القدامى والبابليين بشكل غير منتظم . وهذا يعود الى طريقة تأليف الكتاب خلال حقبة طويلة من الزمن ومشاركة عدة مدارس فكرية مختلفة في التأليف والتدوين . واذا ما تفحصنا الكتاب (الجسد القديم) نجد سفر حزقيال كأنه ملخص عام له وأنه النواة الاولى التي ألفت ثم دونت باقي الاسفار كشرح لحزقيال ، ومن المعلوم أن حزقيال عاش في المنفى ببابل وهناك جمع وأسس عقيدة القومية اليهودية حتى لا يذوب قومه في شعب العراق ، غير أنه تأثر هو الآخر بالفكر البابلي فكان كتابه صورة مشابهة لقصص وأساطير بابل مع بعض الرواسب التي حملها أبناء قومه من المعتقدات المصرية.

قصة الخلق في المصادر الاخرى : لقد رأينا أن التوراة المصدر الاساسي لليهود كانت موضع شك وانتقاد من قبل اليهود أنفسهم

وان غيرها من المصادر لا يشك الا رأى مؤلفه ، أو التيار الفكرى الذى ينتمي اليه ، ولذلك نجد بعض الكتاب اليهود منهم من درس الفلسفة الافريقيه فتأثر بها وأصبحت عقيدته مبنيه على المنهج الفلسفي ومنهم من تأثر بمعتقدات الاديان الاخرى فنجده يعطى صوره لتلك الخلق الوارده في التوراه بحيث تكون مقاربه مع ما هو في الدين المتأثر به ويعطيها تفسيرا يتوافق مع ما اكتسبه من معتقدات . مثل يهياسين بن موسى الفارسي : ذهب الى أن الله خلق الملائكه وهم كائنات روحيه غير ماديه ، وهذه الكائنات هي التي خلقت العالم المادى وهنا يبدو التأثر بمذهب الفارابي في نظرية العقول التي انبثقت عن الله تعالى كما ينبثق الضوء عن الشمس وتولت الاشراف على خلق الكائنات السماوية والارضية وعلى مختلف تكويناتها.(1)

أما سنان اسحاق فقد ذهب في موسوعته الدينيه اليهودية الى أن « في البدء لم يكن هناك خلق كل منتفي الا الله وعندما أراد أن يخلق العالم كانت جميع الاحرف مرتبه ترتيبا عكسيا أمامه وأول حرف ظهر أمامه هو حرف التاء (ת) وأول ما قال: رب العالمين أخلع بي ما شئت من العالمين ذلك لان الحرف الاخير من كلمه (אמת)(الحقيقه) التي نطقت فوق الواحه لا شك أنت نفسك تدعى حقيقة يجب على الملك ان يبدأ بآخر حرف من كلمه (אמת) ليخلق العالم ، وهكذا خرج حرف التاء الى الوجود ثم يأتي حرف الشين (ש) يقوم بالدور نفسه ، الذى قام به حرف التاء ، ويعلن أنه الحرف الاول من كلمه (שדי) شداى ، التي تعني الاسم المقدس « الله »(2) ويطلب من الله أن يخلق به ما يشاء .. الخ »(3)

---

1) علي عبدالواحد وافي . اليهودية واليهود . ص : 43

2) ى توبيمان . قاموس عبرى عربي . ص : 13

3) Issac Senanes. La petite encyclopedie religieuse Juive:P: 74,75

تستمر العملية حتى يكتمل عدد حروف الابجدية كلها وبعدها يخلق الله بقية الاشياء من هذه الحروف . نستنتج أن الله هذا اليهودي كان أميا لا يعرف الحروف ولا الكلام وهي أهم سمة للخالق ، وكذلك اذا كانت الحروف غير موجودة هذا يعني كيف تمت مخاطبتها مع الله ، وهذا تشبيه الخالق بالمخلوق واذا كانت الحروف ترمز الى أشياء غير الحروف فان سنان لم يبين ذلك . والواقع أنه متناقض مع نفسه كما نجد فالفلاسفة اليهود تبنوا النظريات الفلسفية في شرح ؛ وتفسير قصة الخلق وقالوا بنظرية الفيض الافلوطينية التي تقول بأن الوجود قديم قدم خالقه وهو فائض عنه ولا يمكن أن نفارق بينهما في الزمان وعلى رأس هؤلاء الفلاسفة سبنديا جباون(1) . والمدهش أننا نجد الفكر الوثني عند علماء اليهود متجسدا في السور التي رسموها في كتبهم لله تعالى وهو يخلق الكون وهذا الامر جعلهم عرضة للانتقاد الشديد والاستهزاء بافكارهم حتى من قبل علماء يهود مثل سبينوزا الذي تأثر بالمنهج العلمي التجريبي ، ومنهج علماء الاسلام في النقد كابن حزم : فرفض منهج موسى بن ميمون في تأويله لقصة الخلق الواردة في التوراة بانها تنص على قدم العالم ويرجع رأي ابن ميمون الى الارسطو والفلسفة الاغريقية(2) . أما غريغوريوس المعروف بأبي الحبرى فيذكر في كتابه مختصر الدول القصة الواردة في التوراة الا أنه يحدد بداية الخلق بيوم الاحد أول نيسان فقال : « خلق الله تعالى في يوم الاحد وهو أول نيسان السماء العليا أي الفلك التاسع المتحرك بالحركة الاولى من المشرق الى المغرب والارض ، وتسع مراتب الملائكة ، والنور والاركان الاربعة وخلق تعالى في يوم

---

1) Encyclopaedia Judaica. Volume/ :5/ 1067

2) سبينوزا . رساله في اللاهوت والسياسة . ترجمة : د / حسن حنفي .ص : 43

الاثنين الرقيع و هو السماء الدنيا أي الفلك الثامن و ما تضمنه من الارتفاع التاسع المتحركه بالحركه الثانيه من المغرب الى المشرق، وفي يوم الثلاثاء أمر الله تعالى الماء فاجتمع الى مكان واحد ظاهرا بحرا و أظهرت الارض مبتة عشبا و أشجارا مثمره و غير مثمره و في يوم الاربعاء قال عز من قائل لتكن سابيح أي كواكب في علو الرقيع للفصل بين الليل و النهار والدلالات و الاوقات و الايام و الاعوام ... الخ»[1] و يستثنى يوم السبت و قال انه لم يخلق الله فيه شيئا ، ثم يتعرض لرأي بعض علماء اليهود الذين يعتقدون أن الخلق وقع دفعه واحدة على خلاف ما يرى فيقول : «و من علمائنا ماريغوريوس النوسوي و يعقوب الرهاوي يزعمان أن جميع المخلوقات انما وجدت في آن واحد و الكتاب الالهي انما خصص كون كل كائن بيوم لتعلمنا حسن الترتيب في الامور و ان الله غير موجب بالذات بل فاعل بالاختيار له أن يبرأ ما شاء متى شاء»[2] من النص يظهر ان ابن العبري تأثر بنظرية افلوطين التي تبناها الفارابي و استبدل مصطلح العقول التسعة بالمراتب التسع للملائكه ، و نجد يعقوب الرهاوي تأثر بالعقيده الاسلاميه فسرح بأن الله قادر على أن يخلق الكون دفعه واحدة بدون ترتيب زمني لكن الخالق اراد أن يقسم عمليه الخلق على مدى ستة مراحل ليعلم الناس الترتيب في أمورهم و ليس المراد كل يوم مخصص لخلق جزء معين من الخلق ، على عكس ما ورد في التوراة اذ حدد كل يوم بخلق مخلوقات محددة و هذا بعيد عن تأويل يعقوب الرهاوي و يجعلنا نعتقد انه أخذ من الفكر الاسلامي، ولا يمكن ان يكون نحرم هذا المعنى من روايه التوراة

---

1 اغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري . تاريخ مختصر الدول . ص : 4 ، 5

2 اغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري . المصدر السابق .ص: 5

ويتضح من دراسة تلك الخلق في التوراة أن التوراة الفتها مؤلفون من مصادر متباينة خلال زمن طويل ولذلك جاءت فيها الاختلافات بين الروايات في الصيغة الكلامية والمعنى الذي تتضمنه النصوص مما يؤدي الى التناقض ووجود الاسلوب الخرافي والاعتقاد الوثني بصوره ملموسه .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٢) قصة خلق الكون في المصادر الاسلامية :

للدين الاسلامي مصدر واحد وهو : الوحي المتمثل في القرآن والسنة النبوية ، وكل شيء لا يصدر عن الوحي فهو ليس من الاسلام ، وخاصة القضايا الغيبية كقضية الخلق ، لا يخضعها الاسلام للعقل البشري الا في جانب الاستدلال عليها أو تفهم المعاني حتى يتصورها ، ولم يطلق العنان في هذا الجانب : بل حددت المجالات التي يمكن للبشر أن يستخدموا فيها طاقاتهم المحدودة . والقرآن الكريم هو الكتاب المنزل من قبل الله المنقول عن الرسول (ص) بالتواتر لا ريب فيه ، وكل ما خالفه يحدث ، ولا يعد من الاسلام حتى ولو كان خبرا منقولا عن الرسول (ص) لان الوحي لا يتناقض ، ولهذا نشط الزنادقة في وضع أحاديث خرافية وأساطير ونسبوها للرسول (ص) لغرض اثبات التناقض في هذا الدين ، وتمرير معتقداتهم للمسلمين فدفع هذا الامر علماء الاسلام الى أن وضعوا قواعد منضبطة تحفظ الاخبار الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) من دس الزنادقة وكذلك وضعوا قواعد تضبط معاني آيات القرآن وتبعد عنها التأويلات البعيدة التي ذهب اليها بعض الزنادقة والمتسللين الى الاسلام ليشوهوا عقائده ، وتشريعاته بما يحملون من رواسب عقدية في أنفسهم من ديانا تهم القديمة.

والمفهوم العام للقرآن : انه يدعونا لاتباع أوامره وتحمل تكاليفه ، لانه بين لنا أن الله خلقنا لنقوم بتعمير الارض على منهج سليم، وكل التكاليف التي كلفنا بها تخدم الغرض الذى من أجله خلقنا وهو الاستخلاف في الارض ، وتضمن لنا السعادة في الحياة الدنيا ، والآخرة : ومن التكاليف أن أمرنا الله في القرآن بالبحث والتنقيب في أقطار السماء والارض وذلك باستخدام طاقاتنا العقلية والمادية، لاكتشاف النواميس الالهية في

الكون ، وتسخيرها لخدمة الانسان في حياته واثبات عقيدة التوحيد في نفسه(1) فقال تعالى «أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» ٦، ٦، ٨، ٨ ق) واذا تبعنا ما جاء في القرآن نجد أن الخالق ، لم يفصل في بعض القضايا وذلك اما لقلة أهميتها في حياة الانسان أو أن عقله وبحثه قادران على التوصل اليها ، كما جاءت آيات وأحاديث تحدد مجال البحث للانسان وتأمره أن يستخدم نشاطه الذكرى وطاقاته في البحث فيها ، حتى يتحصل على معارف تؤكد له توحيد الخالق ، ولذلك جعل الله طلب العلم والمعرفة بالمنهج الذى رسمه مرتبة شرفية لا ينالها الا المخلصون في ذلك من عباده فقال : «شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم» (آل عمران ١٨) والعلماء المذكورون في القرآن هم المؤمنون بحقائق القرآن ولا يتعارضون معها ، واذا وجدت نظرية تعارض حكما قرآنيا فان تعارضها يخطئها ويرفضها لانه «لا يحدث تعارض بين القرآن والعلم الا اذا ضل العلم طريقه أو أخطأ المفسرون في فهم الآيات الكونية لعدم معرفتهم العلمية(2)». بمدلول الآية وهذا التصور لا بد له من ضبط دقيق حتى لا ننجر وراء فكرة تحكيم القرآن لما يسمى بالكشوف العلمية التي قد يثبت عدم صحتها بعد مرور زمن أو تصبح صحتها نسبية بالنسبة الى دقة الوسائل المستعملة في البحث ، لان عقيدتنا الاسلامية تقرر أن الحقيقة المطلقة لا تكون الا لخطاب الله لا يبليها طول عهد ولا كثرة كشوف التي قد يكون منها ما يتفق مع الحقيقة القرآنية في جانب المنطلقات العامة اما «ما يأتي من تفصيلات بعد ذلك من

---

1)- محمد صالح محمد السيد ، اصالة علم الكلام . ص : 30

2)- عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم . ص : 20 ، 64

جانب العلم فقد تركها القرآن للبشر كي لا يقفل الطريق أمام اجتهاداتهم لتحقيق الخلافة في الارض[1] مع الحذر من الانسياق مع الفرضيات فتحمل الآيات معاني قابلة للترجيح عليها بتقدم العلم أو الزمن. وحدث هذا لبعض المفسرين الاوائل الذين أطلقوا العنان لانفسهم في تفسير الآيات بما رواه أهل الكتاب في أخبار الامم السالفة والانبياء فحملوا الآيات معاني أسطورية خرافية بعيدة عن الحقيقة والمعقول بل أحيانا مخالفة للواقع كورود قصة جبل(قاف) المحيط بالارض وما روى عن سيدنا داوود وسليمان وهارون عليهم السلام من خرافات ينبذها أقل الناس علما.

وليس من شك في أن الصحيح الثابت المروى في تفسير القرآن عن النبي (ص) قليل بالنسبة الى ما لم يرو عنه فيه شيء وكذلك ما روى عن الصحابة والتابعين لم يستوعب كل آيات القرآن الكريم هذا الى ما فيه من الضعيف والموضوع والاسرائيليات وهو شيء كثير ولا سيما في الآيات الكونية التي يتجدد العلم فيها عصرا بعد عصر[2]. ولذا يصعب حصر معاني الآيات التي تضمنت قصة الخلق ويبقى تفسيرها حسب مفهوم المفسر لها، وللحقائق العلمية ولذلك اختلف في معنى الماء وأصل المادة التي خلق منها الكون

الحال قبل خلق الكون : القرآن الكريم لم يفصل في ذلك وانما أوجز الخبر بوجود العرش والماء، اما ما قبلهما فلم يذكره القرآن، وأبقى العرش شيئا غيبيا بحيث لا يدرك البشر أوصافه وذلك تحديدا لمستوى مدارك البشر حتى لا يتطلعوا الى ما وراء ذلك لان طاقات الانسان محدودة بالزمان الناجم عن حركة الاجسام وبالمكان المحدود بالابعاد الثلاثة فاذا كانت هذه المقاييس لا تصور له أشياء مخلوقة وهي العرش والقلم أو حدود

---

1)- عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم. ص: 64.

2)- محمد بن محمد أبو شهبة، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفاسير ص: 116

الكون وماذا يليه أهو العدم ؟ فما هو العدم ؟ انه ما لايـــــدرك للبشر وبالتالي يبقى الاشكال مطروحا حول مفهوم أن الكون يتـوســع فبماذا يتوسع وما هو الفراغ المحيط به الذى يسمح له بالتوسع وهـــل هذا التوسع يستمر الى ما لا نهاية ؟ في قوله تعالى «والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون» (51 الذاريات) نرد هذا الى علم الله الذى يختلف عن علم المخلوق، الذى يعتمد على التشبيه والمحسوس وحتى مـا ندركه وهو غائب انما ندرك أثاره في الحس ونجهل كنهه وحقيقتـــه قال تعالى، «وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا» (7 هود) فمن المفسريـــن من ذهب الى الاستشهاد بالاسرائيليات لتفسير الآية ولكن هـــذه الروايات لا تعطى جوابا شافيا لمعنى الآية بل تجعل الجواب عمليـة متسلسلة ، ثم تتوقف عند حد يبقى التساؤل بعده مطروحا ، وذلـــك ناتج عن عدم امكانية تصور وادراك صفات الخالق والاحاطة بها وهو محال عنا ، وكل ما ورد من روايات أو مفاهيم لا يزيد عـــن مفهوم الحديث الذى رواه أبي رزين رضي الله عنه : قال : « قلـــت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء »، قال الترمذى : والعماء أى ليس معه شيء (1) . الحديث رواه الامام أحمد في مسنده عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين ، وشرحه أحمد البنا في الفتح الرباني فقال «أحسن ماقيل في ذلك ما ذكره أبو بكـــر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال : قوله (ص) كان ولم يكـــن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله (وكان عرشه على الماء) يعنى خلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء (وقوله في عماء) وجدته في كتاب عمآء مقيدا بالمد ، فان كان في الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء أى فوق سحاب مديرا له (2).

---

1)- السيوطي/ الدر المنثور في التفسير بالمأثور . ص: 3/ 322

2)- أحمد البنا ، الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل. ص: 2/ 3

* قال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال: وكيع بن عدس عن عمه لايعرف تفرد عنه يعلى بن عطاء ويقال بن حدس ذكر اسم والده ابن حبان في ثقاته وقال أرجو أن يكون الصواب بالحاء . ص: (315/4).

قال الزمخشري هذا دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل ، أو كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته »[1]. فتعبيرنا المعاصر نقول أن الماء له حالات ثلاث: اما غاز أو سائل أو متجمد وهذه الحالات قد تكون هي حالة ذلك الماء متجمعة أو على واحدة منها فهي في علم الغيب فلا يزيد العلم بحالة الماء في علم الانسان ما يفيده في عقيدته أو عمله ، وعن عبادة بن الصامت قال : «سمعت رسول الله (ص) يقول أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ، ثم قال له أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة»[2] يظهر من هذا الحديث انه يناقض حديث أبي رزين الا أن أحمد البنا جمع بينهما فقال «لا منافاة لانه يمكن الجمع بينهما بأن أولية القلم بالنسبة الى ما عدا الماء والعرش وبالنسبة الى ما منه صدر من الكتابة أى أنه قيل له أكتب أول ما خلق الله والله أعلم» جاء في رواية أخرى للامام [أحمد بن حنبل] بعد قوله أكتب قال وما أكتب؟ قال : فاكتب ما يكون وما هو كائن الى أن تقوم الساعة»[3] أما ابن الاثير فذهب الى «أن ثاني شيء خلق بعد القلم سحاب رقيق وهو الغمام الذى قال فيه النبي (ص) . وقد سأله أبو رزين العقيلي: اين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال : في غمام ما تحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء : وهو الغمام الذى ذكره في قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام قلت فيه نظر لانه قد تقدم أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له أكتب فجرى في تلك الساعة ، (ثم ذكر في هذا الفصل) أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحابا ومن العلوم أن الكتابة لا بد فيها من

---

1)ـ الزمخشري ، الكشاف . ص : 2/208

2)ـ أحمد البنا ، الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل ص: 20/4.
و ابن الاثير ، الكامل في التاريخ . ص : 1/12
والسيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور . ص : 6/250

3)ـ أحمد البنا المرجع السابق. ص : 20/4

آلة يكتب بها وهو القلم ومن شيء يكتب فيه وهو الذي يعبر عنه هنا باللوح المحفوظ وكان ينفي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا للقلم»[1]. نلاحظ أن ابن الاثير يشبه القلم الذي خلقه الله بالقلم الذي يصنعه بيده هو فيراه يحتاج الى آلة يكتب فيها ما قيل له أكتب، وكأنه نسي أن هذا القلم من الغيبيات التي لا يمكن أن يدركها الانسان والنتيجة اننا مهما تصورنا القلم أو الماء أو العرش فلن نستطيع أن نصل الى صورة يمكن ادراكها. «وليس لنا أن نلتمس للنصوص القرآنية من النظريات التي تسمى العلمية حتى لو كان النص يتفق مع النظرية وينطبق عليها فالنظريات العلمية قابلة دائما للانقلاب»[2] وذهب فريق من المفسرين المعاصرين الى التوفيق بين النظريات العلمية والآيات القرآنية في الماء السابق لخلق السموات والارض ووصفوه بأنه الغاز الكوني والمشار اليه في القرآن بالدخان فقال محمد محمود حجازي في ذلك: «اما الماء الذي كان قبل خلق السموات والارض فهو الدخان الذي ذكر في الآية (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إيتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) (10 فصلت) وهو الموافق لنظرية السديم ونظرية التكوين العلمية توافق نظرية القرآن في قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يومنون)»[3]. (30 الانبياء).

المفسر هنا استشهد بالآية (30 الانبياء) على أن السماء والارض كانتا كتلة واحدة ولكن معنى كلمة السماء هنا هو الذي يحدد المقصود، فاذا

---

1)ـ ابن الاثير / الكامل في التاريخ . ص : (1/12، 13).
2)ـ سيد قطب / في ظلال القرآن . ص : 12/ (1957) .
3)ـ محمد محمود حجازي / التفسير الواضح . ص : (12/9).
وعبد العليم عبد الرحمن حضر / الانسان في الكون بين القرآن والعلم . ص : 214 و موريس بوكاي / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة . ص : 160 .

كانت السماء كل ما عدا الكرة الارضية فكلامه صحيح ، اما ان كان القصد منها طبقات الجو المحيطة بالارض فتصبح صحة مذهبه نسبية الى النظرة العلمية لان النظرية تقول أن الكون كله كان عبارة عن كتلة غازية انفجرت فتكون من ذلك الانفجار النجوم ، ثم انفجرت أو تقطعت قطع من تلك النجوم وتبردت فاعطت الكواكب السيارة التي تدور حول النجوم ومثال ذلك ما حدث للشمس فتكونت المجموعة الشمسية التي ينتمي اليها كوكبنا الارض.

وفي البدء كانت الظروف تختلف عما هي عليه الآن حيث درجات الحرارة غير معروفة ولا درجات الضغط أو قوة الجاذبية ، وكذلك الشحنات الكهربائية مما يجعلنا نجهل تمام الجهل ولا يمكن أن نتصور الحالة التي كان عليها الماء قبل خلق غيره ، والحال نفسها بالنسبة الى الهيئة التي كانت عليها السماء والارض قبل عملية الفتق في قوله تعالى: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يومنون» (30 الانبياء) فجاءت تفسيرات مختلفة لهذه الآية فمعظمها يحتمل ، والاختلاف يعود دائما الى مفهوم كلمة السماء والارض والرتق : قاول الاراء يرى أن السماء والارض كانتا ملتحمين ففصلتا عن بعضها وقسمت كل منها الى سبعة(1)

ثانيا : اخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد عنه في قوله «كانتا رتقا ففتقناهما» قال فتق من الارضين ست أرضين معها فتلك سبعة بعضهن تحت بعض ومن الماء سبع سموات منها معها فتلك سبع سموات بعضهن فوق بعض ولم تكن الارض والسماء هما ستين(2)

---

1)- ابن كثير / تفسير القرآن . ص : (4/ 560)
والسيوطي / الدر المنثور . ص : 4 /317 .
والقرطبي / الجامع لاحكام القرآن . ص : 10/ 284

2)- السيوطي / المرجع السابق . ص : 4/318 .

ثالثا : عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «نعم كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت فلما خلق الله الارض ففتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات»(1).

وجمع الزمخشري بين الروايتين السابقتين أي أن الله فتق الارض والسماء بالمطر والنبات وفتقهما عن بعض بعد ان كانتا مصمتين(2). والمعاصرون ذهبوا الى التوفيق بين معنى الآية والنظرية العلمية القائلة بأن الكون كله كان كتلة من غاز الهيدروجين ونتيجة للانفجار الذي وقع بتلك الكتلة فتفرقت في أنحاء الفضاء على شكل كتل ملتهبة ومنها تشكلت النجوم والمجموعات السيارة ... واذا ما لاحظنا الى هذه التفاسير للاية نجد أن نص الآية يتحمل المعاني كلها وذلك بحصر كل تفسير في جانب فالاول والثاني يفهم منهما أن سبعة ارضين طبقات الارض ومن الناحية العلمية فهي فعلا تتشكل من طبقات بعضها فوق بعض ، اما السماء اذا قصدنا بها الجو المحيط بالارض فهي الاخرى مقسمة الى طبقات غازية مختلفة فيما بينها من ناحية التركيب والكثافة ... الخ

والتفسير الثالث هو الآخر يحتمل الصحة لانه من الضروري أن فترة مرت على الارض دون وجود حياة عليها ويكون مدلول الفتق هي اخراج النبات منها وجعل المطر مصدر حياته ويكون فتق السماء هو انزال الامطار على وجه الارض ، وأخيرا : النظرية العلمية وهي كذلك وجه محتمل والنتيجة أنها قد تكون جميع المفاهيم هي مدلولة للنص فعلا وكل تفسير يعد في هذه الحالة صحيحا وانما يشمل وجها من وجوه الآية . كما نجد اختلافات بين علماء الطبيعة في تفسيرهم لميلاد الارض فالكونت دى لابلاس : يرى أن درجة حرارة الشمس هبطت فتناقص حجمها وصار شكلها عدسيا ونتيجة لدورانها حول نفسها تفتقت من حوافها حلقات تحت تأثير القوة الدافعة المركزية ، وأخذت هذه الحلقات مدارات ثابتة حول الشمس ثم تبردت فكونت الكواكب السيارة الحالية ، اما العالم السير جنز

---

1)- السيوطي/ الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ص : 4/ 318
وابن كثير/ تفسير القرآن . ص :4 / 560 .

2)- الزمخشري / الكشاف . ص : 3/ ؟

فيرى أن نجما اقترب من الشمس فتمدد منها لسان عظيم ، ثم تفتت هذا الامتداد وأعطى ما نسميه بالكواكب[1] لقد استشهد محمد محمود حجازى بهذه النظريات في تفسير الآية ، وهذا اكبر تصورا حول مفهوم السماء فقال «ليس هناك جرم محسوس اسمه السماء : بل السماء هي الفضاء اللانهائي الذى لا يعلمه الا الله ... ومن الجائز أن السموات السبع هي المجرات»[2] واذا ما سلمنا بأن الارض انفصلت عن الشمس فهذا يؤدى بنا الى أن الشمس هي احدى السموات ، وهذا مستبعد لان حديث الاسراء والمعراج يناقض أن تكون الشمس سماء . ووجود آيات تنص على أن الله ينزل المطر من السماء يدعم أن تكون السماء هي الغلاف الجوى المحيط بالارض حيث أن عناصره هي نفس عناصر الارض ويكون معنى الفتق هو فصل الغلاف الجوى من اليابسة والماء فيصبح الجو سماءا للارض ، وفي الوقت نفسه يأتي فتق ثان وهو جعل الطبقة الجوية تشبع بالابخرة ، ثم تتحول الى أمطار فتتساقط على الارض وهذا يساعد على انتعاش النباتات فتتفتق نامية على وجه الارض . فهذا وجه من وجوه معاني الآية يحتمل أن يفهم من نصها .

<u>خلق السموات والارض</u> : لقد كان الله ولم يكن شيء معه ، ثم بدأ الخلق فاخرج هذا الوجود من العدم ، وهذا الايجاد تم على مراحل مرتبة في خطوات تبعا لناموس دقيق ففي البدء خلق الله المادة الاصلية التي صنع منها الكون ، والعلم الحديث يقول ان هذه المادة الاصلية للكون هي غاز الهيدروجين وهو أبسط عناصر المادة على الاطلاق وهو الذى يشكل النسبة العظمى من مركبات النجوم الملتهبة والسحب السديمية وبتفاعله النووى تصدر طاقة اشعاعية وينتج غاز الهليوم كرماد للتفاعل وهو العنصر الثاني بعد الهيدروجين وباستمرار التفاعلات والتكاثف نتجت جميع العناصر التي تتركب منها المادة . وهذا يدل على أن الكواكب الباردة هي آخر الاجسام تكونا ولكن معظم آيات

---

1)ـ حنفي أحمد/التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن .
ص : 97 ، 98 ، 99

2)ـ محمد محمود حجازى / التفسير الواضح . ص : 12/ 10

القرآن تحدثنا بأن الله خلق الارض قبل السماء ونحن نعلم أن السماء لها عدة مفاهيم فهي باجمال تعني كل ما علانا وأول شيء يعلو سطح الارض هو غلافها الجوى اذاً هو سماء لها وهو مخلوق بعد خلقها ثم يلي الغلاف الجوى الفضاء الفسيح وما احتوى من مجرات، وقد تعني كلمة السماء شيئا غيبيا لا ندركه لان أقرب نجم الينا تفصله عنا مسافة رهيبة تقدر بأربع سنوات ضوئية وتفصل بين المجرات القريبة من بعضها ملايين السنين الضوئية وهذه النجوم والاجرام ما هي الا أجسام تسبح تحت السماء الدنيا أول سماء لقوله تعالى «وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا» نرى ان مفهوم السماء ليس من السهل تحديده وهي شيء مخلوق فكيف بنا أن نحدد كيفية عملية الخلق؟ قال تعالى:«قل أينكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم» (7، 8، 9، 10، 11 فصلت). وقال تعالى«الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون»(21 البقرة) وقال تعالى:«هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا، ثم استوى الى السماء فواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم» (28 البقرة). لقد جاءت أحاديث تفصل عملية الخلق لكن معظمها ضعيف واختلفت آراء المفسرين في قضية خلق السماء والارض أيهما الاسبق.

الظاهر من الآيات أن الارض خلقت قبل السماء لان الارض كالاساس والسماء كالسقف ومن المعلوم أن السقف يبنى بعد الاساس[1] وعن عكرمة عن ابن

---

1)ـ محمد علي الصابوني / مختصر تفسير ابن كثير ، ص : 257/3 .

عباس رضي الله عنهما قال هناد :«قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي (ص) فسألته عن خلق السموات والارض فقال (ص) ، خلق الله تعالى الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة ...(في أربعة أيام سواء للسائلين) (7فصلت) لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه ، وفي الثانية القى الآفة على كل شيء ممن ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ ثم استوى على العرش قالوا: أصبت لو أتممت قالوا : ثم استراح فغضب النبي غضبا شديدا فنزل قوله: (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) (38 ق)[1]». قال ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال «ان هناد راوية للموضوعات والبلايا»[2]. وعن ابن رافع عن أبي هريرة قال :«أخذ رسول الله بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل»[3] قال ابن كثير هذا من غرائب الصحيح ، وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه عن كعب الاحبار[4].

---

1)ـ ابن كثير/ تفسير القرآن. ص: 165/6

2)ـ الذهبي / ميزان الاعتدال في نقد الرجال.ص : 310/4

3)ـ أبي الحسين مسلم/ الجامع الصحيح . ص : (127/8).

4)ـ ابن كثير المرجع السابق / ص : 405/5 وأحمد البنا / الفتح الرباني . ص : 8/20 ، والقرطبي/ الجامع لاحكام القرآن . ص : 385/6 .
والالوسي / روح المعاني . ص : 106/24
و سيد قطب / في ظلال القرآن . ص : 3/ 1295 .

هذه الاحاديث الراجح أنها من الروايات الاسرائيلية التي تفسر قصة الخلق في التوراة فلا يعتمد عليها لانها لفقت لتطابق ما جاء في التوراة وليست شارحة أو مفسرة لما أجملهُ القرآن. ونجد في القرآن أن الخلق تم في ستة أيام وذكرت الارض قبل السماء في جميع الآيات في عملية الخلق مما يؤدي بنا الى أن نتصور أن الارض سابقة على السماء، الا ما نصت عليه سورة النازعات «أنتم أشد خلقا أم السماء بنيها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها»(27 ـ 30النازعات) ابن كثير يرى أن الارض خلقت أولا ثم خلقت السماء ، ثم دحيت الارض(1) بينما القرطبي في تفسيره لهذه الآية يرى أن الارض خلقت بعد السماء(2) وهذا يتوافق مع النظرية العلمية الحديثة التي تقول أن الارض انفصلت عن الشمس وأخذت تبرد ، فتكونت القشرة الارضية الباردة . ثم تشكلت طبقات الجو وهي السماء، وكان الماء بين تبخر عندما يلامس سطح الارض و تهاطل عندما يصعد الى الطبقات الجوية الباردة الى أن تبردت القشرة الارضية فاستقر الماء في فجواتها فتشكلت البحار والمحيطات ثم بدأت حركة القارات وثوران البراكين فتشكلت السلاسل الجبلية . وهكذا يكون معنى دحي الارض المتأخر عن تسوية السماء التي تشكل الغلاف الجوي على هيئته الحالية (3) ويقف محمد الطاهر ابن عاشور موقف القرطبي ولا يرى أن الغلاف الجوي يمثل السماء لانه اذا كان كذلك فهو مخلوق بعد خلق الارض لانه تابع لها : فيرى أن السماء يقصد بها مجموع المجرات وما وراءها فتكون السماء خلقت قبل الارض لان الارض ليست الا جزء من أجسام الكون ، وحتى وان سبقت غيرها في التكوين فلم تسبق المادة الاصلية التي ذكرت في الاحاديث والآيات وهي الدخان والعماء(4)

1)ـ ابن كثير / تفسير القرآن . ص :7/ 208، وفخر الدين الرازي التفسير الكبير . ص : 31/ 43

2)ـ القرطبي / الجامع لاحكام القرآن . ص : 9/ 204 .

3)ـ عبد العليم عبد الرحمن خضر/ الانسان في الكون بين القرآن والعلم. ص : 233 .

4)ـ محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير. ص : 24/ 246

والوجه الآخر من معاني السماء : انها شيء غائب عنا لا ندركه وجاء في الآيات تحديد الخلق في ستة أيام منها أربعة لخلق الارض وما فيها ويومان لخلق السماء فلا غرابة في هذا مهما كان مدلول اليوم سواء كان يدل على مرحلة أم فترة أم يوم كايامنا لان هذا الامر من اختصاص الخالق وهو أعلم بما يفعل : وتبقى الايام الستة غيبا فهي من خلق الله لم يشهده الا الخالق فهي تحتمل أن تكون اطوارا ومراحل أو فترات زمنية أو أياما من أيام الله التي لا تقاس بمعيار الزمن الناشيء عن حركة الاجرام وقد تكون شيئا آخر(1) وقال بعض المفسرين ان انجاز عملية الخلق من قبل الله في ستة أيام لتعليم العباد وترتيب الامور وتنظيمها ، قد يكون هذا جانبا من حكمته تعالى لكن الاهم هو : ان الخالق أراد وضع نواميس تسير عليها المخلوقات فمن بين هذه النواميس انجاز عملية الخلق في ستة أيام حتى تترتب الامور على أسباب وعلل تؤدي الى حدوثها ، كخلق الانسان بعد خلق الارض وما عليها من مقومات للحياة لان الخالق جعل حياة الانسان ونشاطه مقيدين بتوفر البيئة الملائمة له قبل وجوده وهذا من القوانين التي أودعها الله في الطبيعة.

ولذلك رتب الخالق الخلق في ستة مراحل حتى يكون بين المخلوقات تفاوت زمني وذاتي لانه يوجد من بين المخلوقات ما هو أصل لمخلوق آخر ولذلك جاء الترتيب على مراحل ست.

نلاحظ أن خطاب القرآن في الغالب أتى بصيغة الجمع لكلمة سماء وبصيغة المفرد لكلمة الارض الا في قوله تعالى «الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما» (12 الطلاق) قال الزمخشري: «قيل مافي القرآن آية تدل على أن الارضين سبع الا هذه(2)». ويرى الزمخشري أن الارضين طبقات متواضعة واحدة فوق الاخرى مثل السموات. أما ابن عباس فقد ورد عنه أنه قال: «ومن الارض مثلهن سبعا ولكنها منبسطة»(3) والرأي

---

1)- سيد قطب/ في ظلال القرآن . ص : 5/ 3235 .
وعبد العليم عبد الرحمن خضر / الانسان في الكون بين القرآن. ص : 233

2)- الزمخشري / الكشاف . ص : 4/ 113

3)- السيوطي / المقباس تفسير ابن عباس على حاشية الدر المنثور. ص 6/ 96 .

الثالث يرى ان الارضين طبقات مطبقة فوق بعضها ملتصقة لا فراغ بينهما على خلاف السموات ، استشهد البخاري لهذا المفهوم للارضين بالحديث عن ابى سلمة عن عبد الرحمان وكانت بينه و بين اناس خصومة فى الارض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك فقالت «يا ابا سلمة اجتنب الارض فان رسول الله قال من ظلم قيد شبر طوقه الله من سبع ارضين» و عن سالم عن ابيه قال النبى(ص) «من اخذ شيئا من ارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين»(1)

و الراى الرابع هو : ان العدد سبعة ليس للحصر و انما للكثرة و انه توجد عدة كواكب تشبه الارض وتحتوى على كائنات حية تشبه الانسان . و استشهد اصحابه بقوله تعالى:«و من اياته خلق السموات و الارض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم اذا يشاء قدير» (27 الشورى). و من هذه الاية ، استنتج بعض العلماء انه توجد كواكب آهلة بكائن عقلاء(2) و يدعم هذا الراى حديث ابن عباس الذى رواه عنه ابو الضحي فى قوله و من الارض مثلهن قال :«سبع ارضين فى كل ارض نبى كنبيكم، وآدم كآدم ، و نوح كنوح ، و ابراهيم كابراهيم ، و عيسى كعيسى»(3) وتابعه السيوطي بقوله :«قال البيهقى اسناده صحيح ، و لكنه شاذ لا اعلم لابى الضحي عليه متابعا» فالايات قد تحتمل جميع المفاهيم و التصورات للارض و لعل هذا من الاعجاز القرآني اذ يحمل حقائق متنوعة فى اسلوب واحد ، و اذا بحثنا كل راى و جدناه حقيقة لكنه يفسر جانبا واحدا من معانى الايات القرآنية . على العكس فى المفاهيم الواردة فى تفسير المقصود بالماء فمنها ما يحتمل و منها المستبعد :

---

1)ـ صحيح البخارى . ص :4/ 74

2)ـ محمد محمود حجازى / التفسير الواضح . ص : 20/24و محمد جمال الدين الفندى / السموات السبع . ص : 136 . 114

3)ـ السيوطى ـ الدر المنثور . ص :6/ 233 .

الرأي الاول : لقد جاءت آيات تبين أن الله ينزل المطر من الماء وهذا يجعل الغلاف الجوى المحيط بالارض يمثل أقرب جزء من سماء الدنيا وهو مقبول من جانب العقل اذا كان المقصد من ذكر الماء يفيد هذا المعنى لكون الغلاف الجوى يعد سماء أي سقفا لنا اما أن يكون هو تلك الماء المقصودة بالاسم والمعنى فهذا مستبعد لان الله أخبرنا أن هناك كائنات ودواب في الماء .

الرأي الثاني : ذهب محمد جمال الدين الفندى الى مفاهيم للسموات السبع هي : أن الماء الدنيا هي الغلاف الجوى والماء الثانية هي الشهب والماء الثالثة هي : النيازك ، والماء الرابعة هي القمر والماء الخامسة هي الكواكب السيارة والماء السادسة هي : المذنبات والسابعة هي الشمس[1] . وهذا تاويل بعيد لان صاحب هذه الفكرة اعتقد أن العدد سبعة يقصد منه حصر العدد ووقع في تعارض مع قوله تعالى : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا» (15 نوح) ولم يذهب الى هذا أحد من المفسرين ولم يوجد أثر يدل على أن القمر والشمس سماء من السموات : انما هي اجرام تسبح في الفضاء والفضاء يعد سماء للارض كما يخالف هذا المفهوم ما نص عليه حديث المعراج[2] . الذى يبين فيه الرسول (ص) أن في كل سماء يستقر بها نبيا من الانبياء ، وأن الماء السابعة فيها سدرة المنتهى التي تنبع منها أنهار وهذا لا يوجد في جرم الشمس لانها عبارة عن كتلة ملتهبة ، وكذا في عصرنا استطاع الانسان أن يصعد الى القمر فاذا كان يمثل السماء الرابعة فلم يجد ما وجده الرسول (ص) .

الرأي الثالث : لقد استدل بعض العلماء بقوله تعالى :« و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين» (17 المؤمنون)

---

1)- محمد جمال الدين الفندى / الله والكون . ص : (243، 301).
محمد جمال الدين الفندى / السموات السبع . ص : 114

2)- صحيح البخارى . ص : 4/ 24 .

فقيل ان السماء عبارة عن الفلك الذى يدور فيه مجموعة من الكواكب مثل المجموعة الشمسية وهذه المجموعة مكونة من الشمس مثلا وكثير من الكواكب التي تنجذب اليها وتدور حولها في مدارها ، وهكذا تكون سبعة أفلاك هي السموات السبع[1] . فهذا تصور للسموات والارضين معا حيث تكون الارض جزءا من السماء الموجودة فيها وهذا المفهوم محتمل اذا صرفنا العدد سبعة للدلالة على الكثرة لا للحصر لكن نتعارض مع الحديث الذى رواه البخارى عن المعراج الذى حدد السموات بالعدد للحصر في سبعة لا غير . كما نتعارض مع قوله تعالى : «الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ...» (2 الرعد) وقوله تعالى : «خلق السموات بغير عمد ترونها ...» (9 لقمان) ورد فعل رفع في الآية الاولى وهو يدل على شيئية المرفوع أى أن السماء مادة تدرك بالاحاس وذهب ابن كثير الى أن السماء هي تلك السماء المحيطة بالارض من جميع نواحيها وجهاتها[2] ومن هذا المفهوم يتبين أن السماء المحيطة بالارض منفصلة عنها لا السماء مرفوعة بعمد على الارض ولا الارض معلقة في السماء بمعلق والسماء لم تقع على الارض بفعل قوة التجاذب بين الاجسام فهذا يؤدى بنا الى أن نتصور أن السماء هي الغلاف الجوى المحيط بالكرة الارضية والذى لا يتكدس على سطحها لانه مركب من الغازات والابخرة وهذه الاجسام كثافتها صغيرة مما يساعد على الانتشار بقوة في الحيز الخالي . ويبقى في مداره على الارض نتيجة قوة الجذب التي تمنع تفلته الى الفضاء الخارجي وفي الوقت نفسه يحافظ هذا الغلاف على نسب الغازات المتكون منها ، وكذلك نسبة الابخرة والعوالق ، وكل ما يزيد عن درجة التشبع يتخلص

---

1)- محمد محمود حجازى / التفسير الواضح . ص : 10/18
الزمخشرى الكشاف . ص : 4/65

2)- ابن كثير / تفسير القرآن . ص : 4/42

منه عن طريق تكثيفه كالماء ويتساقط كامطار أو ندى أو يثبت بالتفاعلات وتكون الاعمدة التي تشد هذا الغلاف هي الجاذبية الارضية والقوة الطاردة المركزية وهذه غير مرئية فعن ابن عباس ان قوله (رفع السموات بغير عمد ترونها) قال :«وما يدريك لعلها بعمد لا ترونها[1]». وذهب فخر الدين الرازي الى أن «(بغير عمد ترونها) ان السموات ليست بعمد وأنتم ترونها كذلك[2]». وكذلك قال الحسن وقتادة :«ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية[3]». وهذه الاراء محتملة ، وبالتالي تبقى الماء لها عدة مفاهيم منها المعلوم كالغلاف الجوي ومنها الغيبي كتلك الماء التي يصفها الرسول (ص) في حديث الاسراء والمعراج ولا تناقض بين ذلك ، بل هو الاعجاز في التعبير القرآني حيث تكون للآية الواحدة مفاهيم متعددة صحيحة . اذ معنى السماء كل ما يعلو عن سطح الارض وكذلك العدد سبعة قد يفيد الحصر بالعدد في بعض المفاهيم فيكون استعماله دقيقا كما يفيد الكثرة في غيرها مثال ذلك ما وصفه الرسول في حديث المعراج فانه منضبط ومنحصر بالعدد سبعة اما اذا قصدنا بالسموات المجرات أو المجموعات فيكون العدد سبعة دالا على الكثرة لا الحصر بالعدد .

المخلوقات الاخرى : اذا كانت السموات والارض موطنا للمخلوقات فانه من الضروري ان يتقدم الموطن على وجود الكائن الذي يتوطنه ، ويكون الترتيب هكذا : ان خلق المادة الاصلية يخرج من العدم ثم تخرج السماء والارض ، ثم من مادة الارض أو السماء تخلق الكائنات التي تعمرهما .

1)- خلق النور والظلام : قال تعالى «الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» (1 الانعام) .

---

1)- السيوطي / الدر المنثور . ص : 42/4

2)- فخر الدين الرازي / التفسير الكبير . ص : 143/25

3)- محمد محمود حجازي / التفسير الواضح . ص : 44/21
و الزمخشري / الكشاف . ص : 911/3 .

في الآية جاء ايجاد السموات والارض بلفظ خلق ، اما ايجاد النور والظلمة فجاء بلفظ جعل ونفهم من ذلك أن النور منبثق من وجود مادة الماء والارض اى انه جزء من مادتهما وجد بوجودهما ، والنور والظلام عيثان نسبيان متناقضان فالظلام معناه فقدان النور ومن هذا المنطلق الماذى تكون الحال الاصلية هي الظلام والنور هو الحادث الذى يحل محل الظلام ، وكأن الظلام حيز مفرغ ، والنور هو ما يشغل ذلك الحيز . ومن معرفة تركيب الضوء فانه شيء نسبي الوجود بالنسبة الى الكائن الذى يدركه وكذلك الظلام ، فعندنا نحن البشر الظلام هو ظل الارض الناتج عن انعكاس الضوء الصادر من الشمس بواسطة جسم جرم الارض ، ونسبية النور والظلام تبقى دائما قائمة مثل ما نراه بعض الكائنات كالحشرات نورا فقد يكون عندنا ظلاما لاننا لاندركه والعكس صحيح وهذا يعود الى وسائل الادراك الموجودة عند الكائن الحي والى نوعية الاشعة التي يمكنه الاحساس بها ، فاذا كان هذا الاختلاف الكبير في مدى الاحساس بالظلام والنور في عالم المادة المحسوس ، ونحن لا ندرك ولا يمكننا في عالم الحس نحس بحالة ثالثة لا هي نور ولا هي ظلام فهذا ينفى عنا امكانية تصور الحال قبل الخلق أو خارج العالم المادى ، والعلم الحديث يعرف النور بأنه تلك الطاقة الصادرة عن تفاعلات المادة في صورة جسيمات متناهية في الصغر وتسمى الفوتونات وفي صورة أمواج لها طول موجي وذبذبة معينة وباختلاف الذبذبة وطول الموجة يكون نوعية الاشعة وهذا تتحكم فيه شدة ونوعية التفاعل الذى يصدر عنه ، ويبقى السؤال المطروح في النور هو كيف تكمن في جزئيات المادة هذه الطاقة

الهائلة ، وكيف تنبثق عليها ؟ فهذا يرجع الى القانون الذى أودعه الخالق في المادة حيث جعل الطاقة الكامنة تمثل المادة المحسوسة ، وتتحول هذه الاخيرة الى طاقة بالتفاعلات التي تحفز انطلاقها ولذا جاء في التعبير القرآن فعل خلق للمادة ، وفعل جعل للنور أى بمعنى حول أو صير هذه المادة المخلوقة الى صورة أخرى .

2) ـ خلق الاجرام السماوية : لقد خص الله تعالى القرآن بسورة للقمر وأخرى للشمس وأخرى للنجم وذلك لما لهذه الكائنات من أهمية في سير الحياة على الارض ، ولكن لم يوجد أثر صحيح يبين لنا ترتيب عملية خلق هذه الاجرام ، وبحوث البشر في ذلك تدل على أنه من المستحيل أن تدرك هذا لانه توجد نجوم نشأت منذ مليارات السنين وأخرى نشأت حديثا وأخرى تتلاشى . قال تعالى «ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب» (38 ق) فالآية اجملت عملية الخلق ولم تفصل حيث جعلت خلق الاجرام السابحة داخلا في عملية تخليق السماء والارض خلال ما يسمى بستة أيام ، وقال تعالى «ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم »(36 التوبة) ونحن نعلم أن دليل الليل والنهار أى اليوم هو الشمس ودليل الشهر هو القمر ووقوع الليل والنهار والشهر على الارض ، اذا لا يمكن أن نفصل بين هذه الاجرام الثلاثة في الخلق لان كلا منهما ضرورى لاثبات اليوم والشهر . الا اننا نجد في آيات أخر مثل قوله تعالى : «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا »(12 الاسراء).

قصة الخلق في منطقة وادي الرافدين : القصة عند السامين عبارة عن مزيج من الافكار البابلية الطابع في جوهرها ولكن تعود في أصولها الاولى الى بعض الظواهر البيئية والفكرية السومرية الاولى ؛ ولكن في نصها البابلي ، تكون معبرة عن الفكر الديني ، والادبي المعاصر في ذلك الوقت[1] . واشهر أسطورة من اساطير الخلق هي : اسطورة انوماليش مكتوبة بالخط المسماري باللغة الاكادية ، وكانت أهم شخصية بطولية في هذه الاسطورة ، شخصية الاله مردك الذي يقوم بفصل السماء عن الارض[2] . والقصة يمكننا أن نقسمها الى ثلاثة مشاهد ، الاول يتناول صورة العالم قبل خلق السماء والارض ، وكيفية نشوء الالهة . والثاني : يتناول حياة الالهة والملحمة التي وقعت بين الالهة وعلى اثرها انشقت السماء عن الارض . والمشهد الثالث يتناول قصة خلق الانسان .

1 ـ المشهد الاول . تحدد الاسطورة مكونات العالم في الازل بثلاثة عناصر

1 ـ المياه العذبة ابسو .

2 ـ المياه المالحة تيامات

3 ـ البخار أو الضباب ممو

وفي لحظة من الزمان امتزجت هذه العناصر الثلاثة في شكل كتلة مائية لا نهائية ولم يكن هناك أرض ولا سماء ، ولا آلهة ؛ ومن وسط هذه الكتلة المائية ظهر الهان لاول مرة ، وهما لاهمو ، ولاهامو ، ويمثلان الغرين المتكون في الدلتا[3] . و

---

1 ارشيد الدنا خوري . المدخل في التحليل الموضوعي المقارن والسياسي . ص (3/ 119) ، (

2 المصدر السابق (1 / 299)

3 امحمد جابر عبدالعال الحيني . في العقائد والاديان . ص : 77

وقوله تعالى «وجعلنا من الماء كل شيء حي»(الانبياء) اختلف الباحثون في مفهوم هذا النص فمنهم من شط واتبع قول الطبيعيين : ان مصدر الحياة هو الماء حيث انطلقت منه أول خلية حية ، ثم تطورت بمرور الازمان تحت اختلاف الظروف البيئية المتوالية الى أن أعطت هذا العدد الهائل من أنواع الكائنات الحية الدنيا والراقية[1]. ومن المفسرين من ذهب الى أن القصد من الآية هو : ان الله جعل الماء مادة أساسية في تركيب أجسام الكائنات الحية ، وفي تركيب البيئة[2] وهذا الرأى الاخير يدعمه مفهوم الآيات التي تنص على أن الحياة في الارض تقوم على الماء الذى منه تحيا النباتات ... الخ . قال تعالى «انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا» (27-29عبس) نستنتج من الآية وجميع النصوص المماثلة لها أن الله لما أعد البيئة أولا جعلها صالحة لحياة النباتات وهي أول المخلوقات ظهورا على وجه الارض وجعلها الكائن الحي الذى يستطيع أن يستغل العناصر الطبيعية البسيطة ويستعمل الطاقة الضوئية الشمسية في تركيب جسمه وانتاج ثماره فصار النبات شرطا ضروريا في حياة الحيوانات . ويبقى الخلاف قائما في كيفية نشوء النباتات وتضاربت في ذلك النظريات العلمية في تحديد نشوء أصول وفروع الاجناس والانواع . وهذا خلاف ما جاء في القرآن قال تعالى :«سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» (36يس) يبين لنا هذا النص أن الله خلق الاجناس والانواع منفردة كلا على حدة ، من الارض وجعلها جنسين ذكورا واناثا[3] وبعد استقرار حياة النباتات خلق الله الكائنات المتحركة التي تعيش على هذه النباتات سواء في البحر أم البر ، وبالطريقة

---

1) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر / الانسان في الكون بين القرآن والعلم . ص 20

2) فخر الدين الرازى / التفسير الكبير . ص : 4.9/31

3) الزمخشرى / الكشاف . ص : 286/3
وابن كثير / تفسير القرآن . ص : 613/5 .

نفسها أوجد الله تعالى الحيوانات وذلك استنباطا من قوله تعالى «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون» (7الزمر) وقوله تعالى «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير» (43النور) وقال تعالى «والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون» (النحل5) وقال «وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم» (7النحل). فهذه الآيات السابقة تدل على أن الله خلقها عناصر فعالة في البيئة اعدادا لها لتصبح صالحة لحياة الكائن الفعال في هذه الحياة وهو الانسان : وتنوع هذه الحيوانات يخدم البيئة المحيطة التي يعيش فيها الانسان أو تعيش فيها الكائنات الحية التي يعيش منها الانسان أو يستخدمها في حياته مباشرة كأكل لحومها وشرب ألبانها أو استعمالها في التنقل[1] ومنها تلك الكائنات التي استغلها الانسان حديثا في تصنيع مواد صناعية تهمه في نشاطه . والخلاصة أن نشأة الحيوانات وتنوعها المفهوم من الخطاب يعود الى تخييرها . ولا دخل للظروف الطبيعية في تطورها انما لها دخل في توازن حياتها فقط .

---

1)- الزمخشري / الكشاف . ص : 321/2
و ابن كثير / تفسير القرآن . ص : 182/4
و القرطبي / الجامع لاحكام القرآن . ص :80/10

الفصل الثاني

مقارنة بين قصة خلق الكون في المصادر اليهودية والاسلامية

هذه المقارنة تتم على أساس الاحتكام الى الثابت من النصوص الاسلامية وليس الى غيرها وما يشبه النص الاسلامي من أقوال التوراة نعده أثرا من الوحي ، وما خالفه فما هو الا تأليف البشر إذاً هذه الدراسة تبين لنا آثار الوحي التي بقيت عالقة بكتب اليهود ، وتبين الوضع الذي قام به بنو اسرائيل في كتبهم كما تبين لنا المرويات الوثنية التي أراد بنو اسرائيل اقحامها في المصادر الاسلامية كما فعلوا بكتبهم، فنبدأ بما تشابه وما أقله وخاصة في قصة الخلق:

1 - أوجه الشبه : 1- تتفق المصادر الاسلامية واليهودية في ان الله هو الذي خلق الكون مع الفارق بينهما في تصوير القضية وتصور كيفية الخلق .

2 - جاء في القرآن والسنة ان الماء من المخلوقات الاولى التي وجدت قبل السماء والارض ، وكذلك جاء في التوراة في قصة الخلق الاولى .

3 - جاء في كل من المصادر الاسلامية واليهودية ان عملية الخلق تمت خلال ستة أيام لكن لم يأت في القرآن تفصيل بترتيب المخلوقات زمنيا ولم يثبت في حديث صحيح الا الحديث الذي رواه مسلم عن ابي هريرة (أخذ رسول الله (ص) بيدي...) وهذا الحديث وجهت اليه انتقادات فقال ابن كثير هذا من غرائب الصحيح[1] وكذلك قال فيه شهاب الدين الالوسي وهو من الروايات التي سمعها أبو هريرة من كعب الاحبار ورفعها بعض الرواة الى الرسول (ص).

4- جاء في قصة الخلق الاولى والثانية في التوراة ان أول المخلوقات خلقت السموات والارض ، بعد الماء الازلي . غير أن القرآن حدثنا بأن

---

1) ابن كثير/ تفسير القرآن . ص: 5/ 405

العرش والماء كانا قبل خلق السماء والارض لكنهما مخلوقان حادثان وذلك بما أثر عن الرسول (ص).

5 - جاء في المزمور (6/33) «بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها» فهذه العبارة من بقايا الوحي علقت باذهان بني اسرائيل وهي ترادف قوله تعالى: «انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» (81 يس) وان كانت هذه العبارة لا يوجد لها صدى عندهم، أما القصة الثانية الواردة في الاصحاح الثاني سفر التكوين فتخالف القرآن وما ورد في السنة تماما.

2 - أوجه الخلاف: 1 - كتب بني اسرائيل لا يوجد لها سند فهي عبارة عن مرويات شفوية تناقلها الناس لمدة تقارب 9 قرون ثم دونت بلغة تخالف اللغة الاصلية، ثم ضاع ما كتب وأملى الكاهن حلقيا اكتشافه بينما نجد مصادر المسلمين مسندة وتعتمد صحتها على صحة السند وثقة رجاله، فالقرآن متواتر لا ريب فيه، وحروفه وكلماته توقيفية.

3 - التوراة متعددة هناك توراة عند السامرة تخالف ما عند اليهود في حروفها ومضمونها وكل منهما لا يعترف بالاخرى فهذا دليل على بطلانهما معا وهذا غير موجود عند المسلمين حتى أحاديث الرسول (ص) مرتبة ومحفوظة بمتونها وأسانيدها ومصنفة بحيث يميز فيها المتقدم عن المتأخر والضعيف عن القوي.

3 - يوجد بالتوراة مغالطات حسابية ومخالفات للواقع ككون الانهار الاربعة النيل ودجلة والفرات وجيحون أنهارا تنبع من عدن وهذا يخالف الواقع، بينما القرآن والاحاديث لا يوجد بينها تعارض وان وجد فهو ظاهري له تخريج وتأويل حسب القواعد الاصولية وهي أن يكون أحد المتعارضين مسوخا أو مرجحا أو مخصصا....

4 ـ قال المسؤل عن التوراة :«هذه التي بايديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله ... لا يعتقد أحد من علماء اليهود واحبارهم البتة أن هذه التوراة التي بايديهم هي المنزلة على موسى»[1]. لم يقل أحد من علماء المسلمين أوغيرهم في القرآن مثل هذا لان القرآن قائم على الأدلة المادية والحجج الثابتة انه منزل من قبل الله وذلك لما يحمله من تحد ما زال قائما حتى الساعة كعدم القدرة على معا كاته في الاسلوب ، أو العلم .

5 ـ التوراة جاءت في صيغة كتاب تاريخي مسلسل يتبع الترتيب الزمني للقصص والحوادث بينما القرآن لا يذكر الحوادث التاريخية الا للاستشهاد وبيان العبر بمواقف الرسل والانبياء.

6 ـ في التوراة قصتان للخلق متباينتان وردتا في سفر التكوين متواليتين كل منها ألف في فترة زمنية تختلف عن الاخرى ، في القرآن لا توجد قصة للخلق انما وردت اشارات تفيد أن عملية الخلق انجزت من قبل الخالق لحكمة أدلى بها القرآن في سورة البقرة ، وهي الاستخلاف في الارض وان المخلوقات الاخرى مسخرة للانسان ، وجاءت بعض الآيات مبينة ما يهم الانسان من قضية الخلق التي تعد محور العقيدة في الاسلام .

أما التوراة فنلاحظ فيها عدة تناقضات بين قصتي الخلق ففي القصة الاولى يتأخر خلق الانسان عن جميع المخلوقات أما في القصة الثانية فيكون هو المخلوق الاول بعد السموات والارض قبل النباتات والحيوانات ونحن نعلم أن الانسان يحتاج في حياته الى النباتات والحيوانات وتقدم الانسان عليها هو تقدم للمعلول على العلة وهذا لا يقبل عقلا ، كما جاء في القصة الاولى أن العملية تمت خلال ستة أيام بينما في

---

1 أ ـ محمد عبد الله الشرقاوي / مقارنة الاديان بحوث ودراسات . ص : 116

الثانية تمت دفعة واحدة ، وفي الأولى ذكر خلق الشمس والقمر وفي الثانية لم يذكر خلقهما ، وفي الأولى لم يرد ذكر لجنة عدن ولانهارها بينما في الثانية جاء ذكرهما ، في الأولى بعد اتمام عملية الخلق استراح الخالق في اليوم السابع (السبت) وفي الثانية لم تذكر أن الخالق استراح ، كما جاء في قصة الخلق الأولى وجود الماء الأزلي الذي كانت روح الله ترفرف عليه وفي القصة الثانية لم يذكر هذا الماء وهذه التضاربات والتناقضات بين القصتين دليل على أنهما كتبت من طرف كتاب ، أو شخصين مختلفين على الأقل ، ومثل هذه التناقضات لم توجد في مصادر المسلمين .

7 - لقد فهم اليهود الأيام الستة التي تم فيها الخلق بالمفهوم البسيط السطحي وذلك لتأثرهم بمعتقدات الشعوب التي عاشوا في ظلها ففهموا اليوم بالمدة الزمنية المحددة بالليل والنهار وصرحوا به في قصة الخلق ، وهذا زاد في سذاجة تفكيرهم حيث جعلوا دليل الليل والنهار يتأخر عن وجود الليل والنهار وهو : الشمس والقمر ، بينما في القرآن الكريم ذكر الأيام الستة وتركها مطلقة تحتمل جميع معاني اليوم لكن الراجح انها تعني المرحلة أو الطور، ولما جاء ذكر خلق الشمس والقمر ذكر أنهما دليلان على اليوم المتشكل من الليل والنهار على سطح الأرض وفي الوقت نفسه جاء في القرآن ذكر النور والظلام منفردين عن الشمس ، واستعمل لفظ جعل بدلا من خلق وهذا يدل على أن النور له مصادر مختلفة تختلف حسب نوعيته وكذلك جعل النور من الأنباء التي تدركها بابصارنا ، وفقدانه هو الظلام، وعبر عنه تعبيرا دقيقا بحيث يفهم من القرآن أن النور طاقة تصدر عن المادة وتختلف عنها في جميع خصائصها

بينما اليهود يتصورون أن الظلام والنور عنصران ماديان يمكن أن يمتزجا وفصل بينهما الخالق ، فقالوا في كتابهم(الخروج10/21) ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس الظلام وهذا من أفضح الاخطاء التي ارتكبها المؤلفون نحو دينهم فقسوا فيه تصورات مادية سافجة . ومن سذاجة أفكارهم ، وقصر نظر تصورهم ان الماء الاول ازلي قديم قدم الخالق وهو على حالة السيولة . ولم يتصوروا ان له صورا غيرها وانه مخلوق من قبل الخالق ، وهذا الاعتقاد استوردوه من قصة الخلق المصرية التي تصور ان الاله الاول صدر في وسط المياه ، ثم انشأ العالم ويعتقدون أن الغلاف الجوى هو الماء وهو عبارة عن قبة صلبة تحجز وراءها مياها وان ظاهرة المطر من تلك المياه الفوقية.

8- لقد جاء ترتيب المخلوقات زمنيا مختلا حيث قدموا النباتات والليل والنهار على وجود الشمس التي هي السبب في حياة النباتات وهي الدليل على الليل والنهار، كما قدموا وجود الانسان على النباتات والحيوانات في القصة الثانية وهذا غير معقول .

لان حياة الانسان لاتقوم الا بوجود الغذاء الذى مصدره النبات والحيوان . بينما نجد القرآن يبين ان الخالق سخر للانسان جميع ما في الارض والماء فقال تعالى:« هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ، ثم استوى الى الماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم» (29 البقرة). ويفهم من الخطاب القرآني ان الله هيأ البيئة الصالحة التي تحتوى على جميع مقومات الحياة للانسان ثم خلقه ووضعه فيها

لينطلق في أداء مهمته التي خلقه لها.

9 ـ جاء في المزمور (33/ 14) «من مكان سكناه يتطلع الى جميع الأرض» فهذه العبارة منقولة من ملحمة الخلق البابلية كما تقدم، بينما القرآن يخالف هذه التصورات الوثنية وينزه الخالق عن أن يتصف بصفات المخلوق فيحتاج الى الاشراف من فوق حتى يرى ما يدور في الأرض، قال تعالى في ذلك: «واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» (الملك 14،13)

10 ـ ومن التصورات الوثنية في كتاب اليهود وجود نصوص تصرح بأن الله يتصارع مع الحية، أو التنين للسيطرة على العالم كما تقدم في (المزمور74/ 13،14/89/10) فهذه الروايات منقولة من ملحمة الخلق البابلية بشكل متقطع وهذا مظهر من مظاهر التعددية، بينما القرآن ينبذ كل فكرة يتصورها العلم وتمس الوحدانية المطلقة للخالق، ولا يعد من يعتقدها مسلما، ومن هذا المبدأ لا توجد مصادر غير القرآن والسنة لقصة الخلق لانها من صفات الخالق ولا يمكن لغير، أن يتصورها أو يتوصل الى كيفيتها، فكل ما نعلمه عن خلق المخلوقات هو خبر من قبل الله ورسوله (ص).

11 ـ تأثر بعض العلماء المسلمين فاستشهدوا بما جاء في قصة الخلق التوراتية لتفسير ما جاء في القرآن مثل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور حيث قال في تفسيره «قال تعالى: فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين أمر للتكوين ... وقوله (وهي دخان) تشبيه بليغ أي وهي مثل الدخان وقد ورد في الحديث انها كانت بخارا وقيل: أراد بالدخان هنا شيئا مظلما وهو الموافق لما في

سفر التكوين من قولها « وعلى وجه الغمر ظلمة » وهو بعيد عن قول النبي (ص) انه لم يكن في الوجود من الحوادث الا الماء : سحاب رقيق »[1] هنا الشيخ يخالف التوراة في تركيبة الماء الاول، ويتوافق معها في أن الماء خلقت قبل الارض وبنفس الطريقة والتصور، فقال : لان الماء تكونت من العماء بجمود شيء منه سمي جلدا فكانت منه السماء وتكون مع الماء الماء وتكونت الارض بيبس ظهر في ذلك الماء كما جاء الاصحاح الاول من سفر التكوين من التوراة[2] . ومن أكبر الاخطاء التي يقع فيها المفسرون أن يصوروا الحال بأنها كانت مظلمة قبل الخلق ونحن نعلم أن النور والظلام شيئان نحس بهما في عالم العادة اما خارجه فلا نستطيع أن نتصور شيئا لان هذا الظلام بالنسبة الينا على حالنا العادية وقد يكون صحيحا بالنسبة الى غيرنا، أما الى الله تعالى فذلك أمر لا ندركه وقد تصور الشيخ محمد الطاهر، ان السماء طبقة صلبة ، ونحن نعلم أن للسماء معاني مختلفة فمنها المعلوم وهو يخالف الطبقة الصلبة ومنها الغيبي وهو ما لا ندركه.

12 - المصادر غير التوراة فهي أفكار وتوهمات لمؤلفيها ولا تعبر عن حقيقة أبدا، مثلما ذهب اليه اسحاق سنان في قصته للخلق فتوهم أن أول شيء يجب أن يخلق أسماء الاشياء قبل المسميات فجاء بقصة خلق الابجدية ، والسؤال المطروح هو كيف توصل الى أن الابجدية هي أول الخلق من أين له ترتيب الحروف بهذا الشكل ، ومن متناقضاته انه لم يذكر خلق الحروف التي لا توجد في الابجدية العبرية ، وهذا تصور ونفي قاصر لقضية الخلق ولصفات الخالق وكذلك كون الحروف نسبت نفسها الى كلمات مثل حرف التاء وانتسابه لكلمة أمت(٢١٨،٢)

---

1) - محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ص : 24/246

2) - المرجع السابق

فهذا تقديم للمعلول على علته .

- ومن اليهود من ذهب مذهب الفلاسفة كعديا جاون ومنهم من تأثر بالعقائد الاخرى فصور قصة الخلق حسب تصوره المكتسب كابن العبري حيث حذف الاستراحة يوم السبت ومزج بين قصتي التوراة فجاء بالقصة الاولى وضمنها خلق آدم وخلق حواء من ضلعه واسكانه في جنة عدن ، وقد أراد هنا ابن العبري أن يعطي مريجا من التصور بحيث يحافظ على النسق التوراتي مع تهذيبه وتجريده من بعض الشبهات الظاهرة لعله يستساغ ؛ ثم جاءت طبقة من علماء اليهود في العصور الحديثة وتأثر هؤلاء بالمناهج العلمية كمنهج النقد العلمي عند المسلمين ، فانتقدوا كتبهم وبينوا عيوبها ، مثل ما فعل سبينوزا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة ، وان سبقه في ذلك السؤال هذه الظاهرة تثبت أن مصادر اليهودية كلها بشرية قابلة للتحويل والتبديل حتى من قبل اليهود انفسهم على عكس ما هو عند المسلمين حيث يعد كل من خالف القرآن والسنة غير مسلم ويبقى رأيه تابعا له ، لان القضايا الغيبية العلم بها يأتي عن طريق الوحي ولا يمكن أن يكتفها الانسان وخاصة تلك التي تتعلق بصفة من صفات الخالق كقضية الخلق ، لكن حثنا القرآن على البحث في المجال الذي تستطيع عقولنا أن تتوصل اليه وتتحمله طاقاتنا فقال تعالى : «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ، قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير» (29 ، 19 العنكبوت) : الله حثنا على النظر في كيفية نشوء الخلق لغرض الاستدلال به على وجود يوم البعث وليس الاستمتاع والترف بالاخبار وهذا منهج القرآن

والسنة لا يحتنا على شيء الا اذا نبني عليه عمل يفيدنا في حياتنا[1] وقصة الخلق في التوراة لا تثبت قضية البعث مما يدل على التفكير الوثني عندهم فهم يتصورون الحياة الدنيا هي الحياة . ولم يرد في كتابهم اشارة الى البعث والحساب والعقاب ، والجنة في نظرهم محروسة بحرس يمنعون الدخول اليها لان فيها شجرة المعرفة ، وشجرة الحياة من أكل منهما صار كالاله في المعرفة والخلود. وهذا من التناقض الذي يلفظه كل عاقل كيف أن الخالق السامي خلق شجرة الحياة أو المعرفة لايتحكم في مفعولهما فيبطله ويحاسب اذا أكل الانسان منهما صار الها؟! وكذلك اتركوا بالله لما قالوا أن الانسان أكل من شجرة المعرفة فبلغ علمه علم خالقه «وقال الرب هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الابد» (سفر التكوين 3/22).

---

1) ـ محمد علي الصابوني / مختصر تفسير ابن كثير . ص: 3/33 و محمد محمود حجازي / التفسير الواضح . ص: 2/1207

الفصل الثالث

1) قصة خلق الانسان في المصادر اليهودية والاسلامية

1 ـ في المصادر اليهودية : ذكر خلق الانسان في قصتي الخلق الواردتين في التوراة ففي القصة الاولى جاء قولهم : «وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا» (26 الاصحاح الاول سفر التكوين) وفي الفقرة (27)«فخلق الله الانسان على صورة الله خلقه ذكرا ، وأنثى خلقهم» وكان ذلك في اليوم السادس من عملية الخلق . وجاء في القصة الثانية «وجبل الرب الاله آدم ترابا من الارض» ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية (7 الاصحاح الثاني سفر التكوين) الاختلاف بين القصتين واضح ففي الاولى تم خلق الانسان ذكرا وأنثى في اليوم السادس آخر أيام الخلق وكان آخر المخلوقات خلقا وفي القصة الثانية خلق الانسان في صورة الذكر دون الانثى ، وكان خلقه قبل النباتات والحيوانات ثم غرس الله لآدم جنة عدن وأسكنه فيها ثم خلق الحيوانات له ، ثم رأى أن يخلق له الانثى فسلط عليه السبات وأخذ أحد أضلاعه وخلق منها حواء خلافا لما في القصة الاولى حيث لم يذكر خلق جنة عدن والانهار التي تتحدر منها ، وانها موطن لآدم وحواء حتى غررت بهما الحية فأكلا من شجرة المعرفة فعاقبهما الله بالخروج من الجنة لابعادهما عن شجرة الخلد مخافة أن يصبح الانسان في مصاف الآلهة . وهذا السبب الذي أخرج آدم وزوجه حواء الى الارض على خلاف ما جاء في القصة الاولى حيث ان الله خلق آدم وحواء مباشرة في الارض وباركهما وسلطهما على المخلوقات الاخرى . : وهذه القصة أي قصة شجرة المعرفة والخلد والنفخ في الانف تشبه الاسطورة البابلية التي تقول أن الآلهة ذبحت الاله كنجو وعجنت بدمه طين الارض وخلقت الانسان منه ليقوم باعمال الارض ويعفيها من مشقة الزرع والحرث[1].....

---

1) ـ صموئيل هنري هووك / منعطف المسيلة البشرية بحث في الاساطير . ص : 95

من الاول لان الله لا يماثله شيء ولذا لا يتنجس بشيء حتى نقول عنه انه طاهر. وصفة الطهر تطلق على المخلوق ، ونجد في أساطير القدامى : أن الله ليس ازليا وانما يظهر تلقائيا ثم يخلق آلهة أقل منه درجة تشرف على عملية تخليق بقية المخلوقات فهذا المفهوم انتقل الى عقول اليهود قديما فجاء في قصة الخلق الاولى والثانية فقال في الاولى «نعمل على صورتنا كشبهنا» وقال في القصة الثانية «هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر» فهذا الفكر عبر عنه بنيامين بن موسى في شرحه لقصة الخلق : فيعتقد ان الله خلق الملائكة ، وهي تشرف على خلق الكون[1] ولعل بنيامين أراد أن يخرج من عقيدة التعددية فاستبدل الملائكة بالآلهة فيكون الخطاب الوارد في التوراة بصيغة الجمع يعود على الملائكة ، وليس على جمع من الآلهة ، ولكن هذا وقعه فيما هو أعد اذ اشرك الملائكة، مع الله ؛ ولم يكتف اليهود بالتعدد، بل ذهبوا الى ما هو احط من الاساطير الوثنية فحددوا عمر الكون ووضعوا تاريخا لبدايته فكان عمر: الكون سنة 1975م 5736 سنة وهذا التحديد بالمئوات لعمر الانانية وبداية العالم يخطئه العلم الحديث الذي يحدد بالتقريب عمر الارض بحوالي 4 مليارات ونصف من السنين[2] وهذا العمر حدده رئيس أساقفة «أشر» بحساب الاجيال من المسيح حتى آدم فوجده (4000) أربعة آلاف سنة[3] بينما العلم الحديث لم يستطع الى حد الساعة أن يحدد عمر الانسان على الارض : فكل ما وجده علماء الآثار والحفريات لا يتجاوز (5) ملايين سنة[4]

---

1) - علي عبد الواحد الوافي/ اليهودية واليهود. ص: 98 .

2) موريس بوكاي/ التوراة والانجيل والقرآن والعلم. ص: 40/ 41
وصلاح العجماوي/ جواهر الايمان . ص: 57

3) - علي عبد الواحد وافي / المرجع السابق . ص: 90 .

4) - موريس بوكاي/ ما أصل الانسان . ص: 172

من الأول لان الله لا يماثله شيء ولذا لا يتنجس بشيء حتى نقول عنه انه طاهر، وصفة الطهر تطلق على المخلوق ، ونجد في أساطير القدامى : أن الله ليس ازليا وانما يظهر تلقائيا ثم يخلق آلهة أقل منه درجة تشرف على عملية تخليق بقية المخلوقات فهذا المفهوم انتقل الى عقول اليهود قديما فجاء في قصة الخلق الاولى والثانية فقال في الاولى «نعمل على صورتنا كشبهنا» وقال في القصة الثانية «هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر» فهذا الفكر عبر عنه بنيامين بن موسى في شرحه لقصة الخلق : فيعتقد ان الله خلق الملائكة ، وهي تشرف على خلق الكون (1) ولعل بنيامين أراد أن يخرج من عقيدة التعددية فاستبدل الملائكة بالآلهة فيكون الخطاب الوارد في التوراة بصيغة الجمع يعود على الملائكة ، وليس على جمع من الآلهة ، ولكن هذا وقعه فيما هو أشد اذ اشرك الملائكة مع الله ، ولم يكتف اليهود بالتعدد، بل ذهبوا الى ما هو احط من الاساطير الوثنية فحددوا عمر الكون ووضعوا تاريخا لبدايته فكان عمر: الكون سنة 1975م 5736 سنة وهذا التحديد بالسنوات لعمر الانسانية وبداية العالم يخطئه العلم الحديث الذي يحدد بالتقريب عمر الارض بحوالي 4 مليارات ونصف من السنين (2) وهذا العمر حدده رئيس أساقفة «أشر» بحساب الاجيال من المسيح حتى آدم فوجده (4004) أربعة آلاف سنة (3) بينما العلم الحديث لم يستطع الى حد الساعة أن يحدد عمر الانسان على الارض : فكل ما وجده علماء الآثار والحفريات لا يتجاوز (5) ملايين سنة (4)

---

1) ـ علي عبد الواحد الوافي/ اليهودية واليهود، ص: 98 .

2) موريس بوكاي/ التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ص: 40/ 41
وصلاح النعماوي/ جواهر الايمان ، ص: 67

3) ـ علي عبد الواحد وافي / المرجع السابق ، ص: 90 .

4) ـ موريس بوكاي/ ما أصل الانسان ، ص: 172

وجاء في (سفر التكوين 5 /2) «يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله ، ذكرا وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق» وورد في التلمود القصة نفسها «الله خلق بادئ الأمر ذكرا وأنثى يجمع بين الذكر والأنثى ظهراهما ملتصقان ، ثم فصل بين الذكر والانثى[1]». وهذا الامر لا تقبله حتى الاساطير الاغريقية والاشكال المطروح كيف تقبل كاتب التوراة هذه الروايات المتناقضة ورواها في سفر واحد وهو السفر المنسوب للوحي ؟ وقد درس قصة الخلق عدة علماء منهم جيمس فريزر في كتابه الفولكور في العهد القديم فوجدها عند الشعوب الاصلية لامريكا وافريقيا واستراليا وجنوب شرق آسيا تتشابه وتتفق على أن الانسان الاول خلقه الخالق من طين الارض[2] فنلاحظ أن هذا الاتفاق يطابق ما جاء به الوحي فهي بقية من بقاياه التي توارثتها الاجيال وقد ورد في القصة التوراتية الثانية أن الله تعالى خلق الانسان (آدم) من تراب الارض ، ولم يذكر هذا في القصة الاولى.

---

1) - عصام الدين حنفي ناصف / اليهودية بين الاسطورة والحقيقة ، ص : 87

2) - جيمس فريزر/ الفولكور في العهد القديم ، ص : (26 ، 46)

2- قصة خلق الانسان في المصادر الاسلامية :

ورد ذكر الانسان في القرآن وجاءت آيات عديدة تبين مكانته ووظيفته فقال تعالى :«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم مالا تعلمون » (29 البقرة) من خطاب القرآن الكريم يظهر لنا أن الله لم يخبر الملائكة بخلق الانسان دون اخبارهم بخلق غيره الا لمكانة هذا المخلوق عنده قال تعالى في ذلك: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» (70الاسراء) وتقسم عملية الانسان الى مراتب .

1 - : خلق هيئة الانسان لا على صورة أو مثال سابق وهذا لاتفسير له الا بالقدرة الخالقة الخارقة[1].

2- خلق جسد آدم من طين الارض قال تعالى : «واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»(29 الحجر).

وتكررت هذه الآية عدة مرات في القرآن . فالله تعالى يبين هنا انه خلق جسم الانسان من طين الارض ، ثم ميزه بأن نفخ فيه من روحه ، والروح «ذات مجردة عن المادة وانها جسم نوراني علوي حي يغاير هذا الجسم المادي»[2] ولقد كفانا الله مئونة البحث في حقيقة الروح فقال:«ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا»(85الاسراء) أما الصلصال فمعناه : الطين اليابس الذي له صوت ولم يشو على النار وعندما يشوى يصبح فخارا أو خزفا[3] وقيل اذا أنتن الطين صار صلصالا : والحمأ هو الطين المتخمر الاسود .

1- سيد قطب / في ظلال القرآن . ص : 52/1
وابن كثير / تفسير القرآن . ص : 1 /113
والقرطبي / الجامع لاحكام القرآن . ص: 1/ 240

2- السيد سابق / العقائد الاسلامية . ص : 224

3- [illegible] ص : 1 [illegible]

والمسنون هو : الطين المشكل أو المصبوب في قالب ، ومعنى قوله :«من صلصال من حمأ مسنون»ان الخالق شكل جسم الانسان من الحمأ وعندما يبس صار كالتمثال المفرغ الذى يبدوى عند قرعه(1). وبعد تسوية جسد آدم نفخ الله فيه الروح، فعملية النفخ صفة من صفات الخالق لا ندركها والمفهوم العام ان الله بث الحياة في هذا الجسد فصار حيا يمتلك ما أودعه الله فيه من ملكات وغرائز وهو لا يختلف عن بنيه في مواصفاته ، وله لغة يتكلم بها وذلك بصريح القرآن «وعلم آدم الاسماء كلها » (30البقرة) ، ثم قال تعالى:«وخلق منها زوجها»(1 النساء) أو خلق حواء من آدم اخرج أبو حاتم عن الضحاك قال : «خلق حواء من آدم من ضلع الخلف وهو أسفل الاضلاع(2)» في حين نجد بعض المسلمين المتأثرين بما يسمى العلم الحديث يعتقدون : آدم لم يخلق مباشرة من الطين انما هو حلقة في سلة التطور للحياة اذ كان الطين الموجود على شاطئ البحار منشأ الحياة المتمثلة في البكتريا والطحالب ومنها تطورت الكائنات الاكثر تعقيدا، وهكذا تنقل الانسان في الطين من عالم الى عالم ومن خلق الى خلق حتى جاءت آخر حلقة في التطور في عجرة الحياة فكانت هي الانسان ذلك قوله تعالى : «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي» معنى التسوية هنا هو انتقال مراحل التطور حتى تصل الى البشر السوى وبذلك فان آدم لم يصدر من الطين مباشرة بل ظل دهورا طويلة في بوتقة الزمن حتى نضج(3) وهذا يعارض نصوصا

---

1) ـ اسماعيل حقي / روح البيان ، ص : 453/14
والقرطبي / أحكام القرآن ، ص : 24/10

2) ـ السيوطي / الدر المنثور ، ص : 2 /119

3) ـ عبد الكريم الخطيب / قصتا آدم ويوسف عليهما السلام ، ص : (27.28)
ويسرى عبد الرزاق الجواهرى / السلالات البشرية ، ص : (59 ـ 114)

كثيرة في القرآن وانه لمنزلق وقع فيه الكثير من التّبع لمايسمى بالنظريات العلمية كما حدث للفلاسفة من قبل .

3) ـ بعد أن خلق الله آدم من تراب وسواه بشرا حيا بقيت عملية التخليق من التراب خاصة بآدم،أما أبناؤه فكانت عملية تخليق أجنتهم مخالفة ويتمثل هذا في قوله تعالى:«الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون» (5،6،7،8 السجدة) تدل الآية على أن الله خلق آدم من تراب ثم سواه ، ثم نفخ فيه الحياة التي تتمثل في السمع،والبصر والفؤاد .... الخ : فصفة التسوية تبقى لازمة المفعول على جسم الانسان سواء من طين أم من لحم وكذلك نفخ الحياة وبثها في الجسم ، لكن الاختلاف واقع في بني آدم حيث أصبح بناء أجنتهم من اللحم لا من الطين ، وتتم عن طريق نمو الجنين وتطوره الى أن يصبح جسما سويا حيا[1] والله جعل لعملية الخلق الجديدة سببا وهو التزاوج بين جنسي الانسان اذ يتركب الجنين في بطن الانثى عن طريق انتقال النطاف المذكرة الى رحمها ، وتلقح البويضة المؤنثة التي تعطي الجنين الذي ينمو الى جسم انسان حي قال تعالى في ذلك : «والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا» (11 فاطر) وقال تعالى:«قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا» (36 الكهف) .

: أي أن الله خلق أصل انسان آدم من تراب ، ثم خلق أبناءه من النطفة التي سماها القرآن ماء مهين[2]. ثم

---

1) ـ ابن كثير / تفسير القرآن . ص: 5/406 ، 409
والقرطبي / الجامع لاحكام القرآن . ص : 14/91 ، 50/13

2) ـ الزمخشري / الكشاف . ص : 2/390 ، 4/167
وابن كثير / تفسير القرآن . ص : 4/257

خلقه جنينا في بطن أمه ، ثم أخرجه طفلا فرعاه حتى اكتمل نموه وصار رجلا فهذه مراحل تخليق الانسان من البداية الى النهاية حتى يعود الى التراب الذي خرج منه .

أ ـ مراحل النطفة : قال تعالى : «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا» (1 ، 2 ، الانسان) قال الزمخشري «أي كان ، الانسان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان من نطفة)[1] وجعل الله نظام تكاثر الانسان بهذه الطريقة لانها تناسب بنيته الجسدية والاجتماعية ، ولم يجعلها كطريقة الطيور والاسماك تتم بواسطة البيض أو كطريقة بعض الديدان والاوليات التي تتكاثر بواسطة التبرعم . وضبط الله طريقة التزاوج بنظام تشريعي ليجعل الانسان انابا بينها قرابة .

ب ـ مرحلة الجنين : قال تعالى : «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» (12 ، 13 ، 14 المؤمنون) . لقد تقدم تخليق الانسان من طين ، ثم من نطفة أي جعل عملية خلق الانسان تتم بالنطفة التي تستقر في رحم الانثى وتلقح البويضة التي ينتجها جهاز المرأة التناسلي ثم تسير هذه اللاقحة حتى تصل الى مكان خاص بها في رحم المرأة وتعلق بجداره وتلتصق به لتعتص منه ما تحتاجه أثناء تطورها ولذلك سميت بالعلقة لتعلقها ، ثم تتطور هذه العلقة وتتحور الى قطعة لحمية غير متمايزة تشبه المضغة ولذلك سميت بالمضغة وهي عبارة عن خيوط ليفية وسائل تظهر كقطعة اللحم الممضوغة

---

[1] ـ الزمخشري / الكشاف ، ص : 2/ 390 4/ 167

قال تعالى : في ذلك «من مضغة مخلقة وغير مخلقة» (5الحج) ثم نتمايز تلك المضغة الى العظام التي تشكل الهيكل العام للجسم ثم تبنى عليها العضلات والاعصاب والاوعية الناقلة للدم والسوائل ، وعند تمام بنية جسم الجنين يبث الخالق فيه الحياة ويبدأ بتطور ويستكمل بنيته الملائمة للبيئة الخارجية(1).

ثم يولد الانسان طفلا صغيرا في حجمه وفكره ومداركه وينمو وتتطور معه أحاسيسه حتى يصبح انسانا كاملا ، جاء في الحديث الصحيح ، عن زيد بن وهب قال عبد الله حدثنا رسول الله (ص) وهو الصادق المصدوق قال :«ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له أكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح»(2) وقال تعالى :« وقد خلقكم أطوارا» (14نوح) هذه تفسرها الآية(3) «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم يخرجكم طفلا لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون» . (67غافر) فقد بينت الآية الاطوار التي يمر بها الانسان من بداية خلق آدم حتى مرحلة النطفة في الارحام ثم أطوار الجنين ثم خروج الطفل الى الدنيا ثم تطوره حتى يصبح رجلا ثم يصل مرحلة الشيخوخة وهي آخر طور أو مرحلة يصل اليها الانسان

---

1) ـ عبد العليم عبد الرحمن خضر/كتاب الانسان في الكون بين القرآن العلم ،(نجد فيه تفسير تكوين الجنين ومراحل تطوره بتفصيل)، ص : (7 ـ 15)

2) ـ صحيح البخاري ، ص : 4/ 79

3) ـ الزمخشري / الكشاف ، ص : 4/ 142
- وموريس بوكاي . ما أصل الانسان . ص: 198

وبعدها يزول . كما يمكن أن نفهم من الاطوار الحالات التي مر بها الانسان وتغيرت حالته فيها . فيمكن أن يكون هناك أقوام عاشوا كانت لهم بنية جسدية عظيمة أو كانت لهم عمار أطول من أعمارنا باضعاف المرات وذلك بدليل قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون» (14 العنكبوت) وهذا دليل قاطع على أن قوم نوح كانت أعمارهم تفوق الالف سنة وهذا يتطلب أن تكون لهم أجسام ذات خواص طبيعية وحيوية تلائم هذا العمر ليمكن الانسان من أداء وظائفه الحيوية . أما ما ذهب اليه عبد الكريم الخطيب والفلاسفة فما هو الا خطل من المعتقدات التابعة للفكر الالحادي الذي تبناه الغرب وعلماؤه امثال لامارك وداروين .

أ ـ لامارك : يرى أن الطبيعة هي التي تفرض على الكائن الحي أن يغير من هيئته ليكيف مع الظروف المستجدة ومن ثم : فانه اذا أهمل عضو بألا يستخدم فانه سيضمحل ولا يظهر في الاجيال القادمة ، وكذلك اذا استخدم عضو أكثر من غيره فانه ينمو ويتكيف مع عمله ويتوارث في الابناء (1) مثل آكل النمل الاردد كان أسلافه يملكون أسنانا ولسانا قصيرا ولكن لما اقتصر على أكل النمل بالارتشاف ولم يستخدم أسنانه ، وركز على لسانه أدى هذا الى اضمحلال الاسنان وطول اللسان . وأراد لامارك وأتباعه تطبيق هذا على الانسان لانه عندهم في عداد الحيوانات . ولم يميز لامارك بين الصفات المميزة للجنس أو النوع والمكتسبة عن طريق التكيف مع البيئة ، هذه الأخيرة قابلة للاكتساب أو الفقدان دون التأثير على هيئة الكائن الحي مثل عدم الإثمار في بعض النباتات لما تغير لها البيئة فتصبح غير مثمرة وهذا لا يؤثر

---

(1) ـ صادق شحاتة / سر الحياة . ص : 72

و موريس بوكاي / ما أصل الانسان . ص : (43،45) .

على أوصافها الجنية أو النوعية لانه اذا ما أعيدت الى البيئة الملائمة أثمرت . اما أن تتغير نوعيتها فهذا من المستحيل لانه لا يحدث الا عن طريق الطفرة ومن خصائص الطفرة انها تعود الى الاصل أو تتقرض .

ب - داروين : عرض داروين نظريته بشكل يختلف عن لامارك فهو يرى أن كل الاحياء التي نراها الآن انما هي سلالات لاحياء أخرى سبقتني الوجود وعاشت قبلها من أقدم العصور الجيولوجية ... وقد نشأت الحياة في بدء الخلقية على صورة بسيطة أو تمثلت في بضعة مخلوقات أولية دنيئة يرجح انها كانت قوية الشبه بالحيوانات الاولية (1). وهذا التطور يعزاه داروين يتم عن طريق الانتقاء الطبيعي : أي أن أفراد النوع الواحد متفاوتون في المواصفات فالبيئة تسحق كل من لا يتحملها وهكذا عبر العصور تجددت الاجيال (2). ولما وصل داروين الى الانسان وأراد ربطه بغيره من الحيوانات وجد بعدا شاسعا في الترتيب . وجاء ظهور الانسان كائنا عاقلا متميزا بدون مقدمات تربطه بغيره من الكائنات فسمى داروين ذلك بالحلقة المفقودة :وجاء بعده من يقول بوجود تلك الحلقة في حفائر(جاوة ، ورودبسيا)، ولكن لم يتمكن هؤلاء الباحثون من تصنيف الجماجم المكتوفة للانسان ولا للقرد ة سموها بالقرد البشري (3) فان علل داروين وأتباعه هذه التغيرات بأنها تحدث عن طريق تأثير العوامل الطبيعية العامة فتحدث طفرات في النوع فيتغير فابسط مشكلة يتلقونها هي تعميم النظر ف الذي يحدث الطفرة على بقاع الارض وهذا مستحيل لان الارض مناخها متغير ومتمايز الى مناطق وقد نجد نوعا واحدا من الكائنات قادرا على التعايش في مناطق واسعة ووجوده قديم جدا فمادا لم يتقرض ويحل محله جيل مختلف عنه؟.

---

1) - صادق شحاتة عمارة / سر الحياة . ص : 46، 47

2) - موريس بوكاي / ما أصل الانسان . ص : 44، 46

3) - صادق شحاتة / نفس المرجع السابق . ص : 50، 51

الفصل الرابع :

مقارنة بين قصتي خلق الانسان في المصادر اليهودية والاسلامية

من المعلوم أن مصادر اليهود عبارة عن مزيج بين معتقدات مختلفة الاصول ومنها الوثني ومنها ما أصله الوحي المحرف ولذا نجد محطات تلاق وتشابه بين القرآن الكريم وما عند اليهود ومحطات خلاف وتناقض ، وأحيانا نجد عندهم بقية من بقايا الوحي لكن صبوها في قالب وثني اسطوري أبعدها عن الحقيقة الالهية .

1 ـ أوجه الشبه : 1 ـ جاء في القصة الثانية أن الله خلق آدم عليه السلام من تراب الارض فقالوا «وجبل الرب الاله آدم ترابا من الارض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية» 2/ 7 التكوين) فهذه المقولة مصدرها الوحي المنزل على الرسل وهي تماثل ما جاء في القرآن في قوله تعالى «واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» (29 الحجر) مع الفارق بين المفاهيم للعملية واستعمال الالفاظ المناسبة للتعبير عن المفهوم : كالنفخ الوارد في التوراة يفهم منه القارئ لها أنه نفخ يشبه نفخ الانسان للهواء .

2 ـ جاء في التوراة في القصة الثانية أن الله خلق آدم ذكرا ثم سلط عليه السبات وأخذ أحد أضلاعه وخلق منها حواء يوجد بين النصين التوراتي والقرآني تشابه فالتوراة تقول «فاوقع الاله سباتا على آدم فنام فأخذ أحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما» (2/ 21 ـ سفر التكوين) ، وقال القرآن «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» (1 النساء).

الا أن القرآن لم يفصل كيفية خلق حواء من آدم بل ذكرها اجمالا أما اليهود ـ وتحت تأثير معتقدات ديانات الشعوب

التي سيطرت عليهم أو احتكت بهم فادخلوا بعض الاقوال من أساطير تلك الشعوب على ما تبقى معهم من الوحي.

3 - اسكان آدم في الجنة ونهيه عن الاكل من تلك الشجرة المحظورة ورد في القصة الثانية أن الله منعه من شجرة معرفة الخير والشر لانها قاتلة فقالت التوراة «واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لانك يوم تأكل منها موتا تموت» (التكوين 2/ 17) يقابله النص القرآني «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» (34 البقرة) كل من النصين يهدد آدم فالتوراة تهدده بالموت أما القرآن فيهدده بعقاب الله عند مخالفة اوامره ، ووقع آدم فعلا في المحظور فكان الجزاء واحدا وهو اخراجه من الجنة فيكون النص التوراتي كاذبا لان آدم لم يمت ، ويتفق النص التوراتي والقرآني أن آدم لما أكل انكشفت عورته . كما جاء في الآية (18 طه).

أوجه الخلاف : 1- ورد أن الانسان خلق ذكرا وأنثى معا في القصة الاولى التوراتية وهذا خلاف ما جاء به القرآن والقصة الثانية في التوراة . «فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم» (27 الاصحاح (1) التكوين) وجاء في (التكوين 5/ 2) «يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله ذكرا وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلقوا» فهذه روايات التوراة متناقضة فالاولى تقول أن الله خلق الذكر والانثى معا ، ثم يأتي النص الأخير فيقول ان الله خلق الانسان فتثنى على صورة الله وهذا تصور وثني وهو يخالف القرآن عموما في خلق آدم وزوجته خصوصا حيث بين القرآن في (1 النساء) ان الله خلق آدم ، ثم خلق منها زوجها ، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء.

2- جاء في التوراة «وجبل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها» (التكوين 2/ 16) وهذا يخالف ما نص عليه القرآن الكريم قال تعالى: «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين» (30البقرة) النصان يعالجان علم آدم بأسماء المسميات وعلم آدم في القرآن مستمد من الله وقد تعلمت الملائكة منه أسماء الاشياء التي يعرفها اما التوراة فترى ان علم آدم تلقائي والله أخذ عنه الاسماء ولعل خلطا وقع لدى كاتب هذا النص بين الملائكة والله ولم يميز بينهما فوقع في الشرك والتشبيه لذات الله بالمخلوق في العلم .

3- اختلفت التوراة مع القرآن في المتسبب في غواية آدم بالمعصية وأكله من الشجرة المحظورة فالتوراة اتهمت حيوان الحية ، والقرآن قال أن ابليس هو المحرض على المعصية ولم تذكر التوراة ابليس ودوره في اخراج آدم وحواء من الجنة قال تعالى: « فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى» (114 ،113طه) فشجرة الخلد شيء وهمي ابتدعه ابليس لغواية آدم حتى يرتكب المعصية ، لكن بني اسرائيل التبس عليهم الامر بين ما جاء في الوحي وما حفظوه من الاسطورة المصرية أثناء وجودهم بمصر في قصة ايزيس واوزيريس وسعي أوزيريس في البحث عن ماء الخلد.

وهذا الالتباس قد يكون مصدره انهم استشهدوا بالاساطير تفسيرا لما كان عندهم من الوحي وبمرور الزمن استطاع المحرفون أن يستبدلوا تلك التفاسير بالوحي ، فضاع ما كان عندهم ومن وحي وبقيت الاساطير وتفاسير حاخاماتهم عالقة بانعانهم حتى جاء عزرا فدون الروايات الشفوية فتمسكت بها الطبقة المسيطرة ومنهم الكهنة مراعاة لمصالحهم الخاصة وكلما جاء رسول أو نبي وأراد أن يصحح انحرافهم كان موقفهم كما قال تعالى: «أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون» (87 البقرة).

4 - يختلف القرآن عن التوراة في المقصد من وجود الشجرة المحظورة فالتوراة تعطي للشجرة قوة خارقة ومعجزة تعجز حتى الخالق عندهم بحيث اذا أكل آدم من شجرة الحياة سيخلد ولن يموت وهذا خوف الله منه فاخرجه من الجنة التي تنمو فيها تلك الشجرة ليبعده ، وزادت التوراة لتؤكد هذا المفهوم في قولها: «فطرد الانسان وأقام عرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (التكوين 3/ 24) بينما القرآن يبين أن المقصد من حظر شجرة معينة هو اقامة دليل على طاعة آدم لله وعلى معصيته له فقال تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» (37 البقرة) وتصور لنا هذه القصة ان التوراة جعلت الصراع بين الخالق وآدم ، على خلاف ما جاء به القرآن حيث بين ان الخالق جعل الحياة في الارض تقوم على صراع بين مخلوقين هما ابليس وآدم .

5- ذكرت التوراة أن الجنة توجد في الارض «غرس الرب الاله جنة في عدن شرقا» (التكوين 2 / 8) على خلاف ما نص

عليه القرآن فقال تعالى: «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» (35 البقرة) وهذا دليل على أن الجنة توجد في غير الارض ، والله أنزل آدم للارض عقابا له وتكفيرا على ذنبه وأنزل معه ابليس الذى تسبب له في الخروج من الجنة ، وجعل الله التعايش بين ابليس وآدم وبنيه على أساس العداء والصراع من أجل الطاعة للخالق والمعصية وتكون حياة الانسان في الارض ابتلاء واختبارا له يؤهله للعودة الى الجنة أو يبعده عنها نهائيا وعلى هذا الاساس تتم عبودية الانسان لله ويتجلى الغرض الاساسي الذى من أجله خلق الانسان قال تعالى: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» (56 الذاريات) وهذا لا يوجد في التوراة ، بل تقلت معتقدات البابليين التي تتصور أن الآلهة خلقت الانسان لينوب عنها ويدفع عنها مشقة العمل في الارض فقالت التوراة «وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها» (التكوين 2/ 15) ونجد في الاصحاح (18 من سفر التكوين) يروى لنا أسطورة غريبة تصور لنا أن الخالق أتى سيدنا ابراهيم في صورة بشر واستراح عنده تحت ظل شجرة وتناول معه طعام الغداء ، وتبين أن بني اسرائيل تقبلوا ما عند البابليين والمصريين من أساطير مع مزجها ببعض الآثار التي علقت بأذهانهم من الوحي المنزل على الرسل . ولذا فمجال المقارنة بين المصادر اليهودية والاسلامية غير متكافئ ولا متوافق ، فمن قصة الخلق ظهر أنهم يخلطون بين الله والملائكة وابليس ويخرجون منهم شخصية واحدة متناقضة المواقف .

الباب الثالث :

الاسرائيليات في قصة الخلق في بعض التفاسير

تعريف : المقصود بلفظ الاسرائيليات هو كل ما يروى عن بني اسرائيل : الا أن هذا اللفظ توسع وشمل جميع ما يروى عن غير المسلمين من نصارى وغيرهم من أهل الاديان السابقة للاسلام[1] ويقول فان فلوتن يطلق علماء المسلمين كلمة اسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية . ولاسيما تلك العقائد والاساطير التي تسها اليهود والنصارى في الدين الاسلامي منذ القرن الاول الهجري[2] ويرى محمد أبو شهبة : أن الاسرائيليات هي تلك الاحاديث المروية عن بني اسرائيل ومصدرها كتابهم العتيق التوراة[3] ونسبت هذه الاحاديث الى بني اسرائيل لكونهم أول من أدخل الاساطير في الكتب المنزلة ونسبها للوحي فالحق بني اسرائيل حرفوا كلام الله والرسل ووضعوا مكانه تلك الاساطير التي ورثوها عن الامم الوثنية ، ولما جاء الاسلام قام بنو اسرائيل بالدور نفسه وحاولوا تحريف عقائد الاسلام فأدخلوا معتقداتهم الى الفكر الاسلامي ليفسدوا هذا الدين الجديد لكن اعلام الاسلام تفطنوا لذلك فأسسوا مناهج وقواعد تضبط المعتقدات والتشريعات في قالب علمي مجرد من الخرافات والاساطير ، وأهم منهج حفظ نقل النصوص صحيحة هو تلك القواعد التي ضبطها المحدثون وعلماء الجرح والتعديل للرواة ، وهذا المنهج نفسه تخضع له الروايات الاسرائيلية التي تناقلها المسلمون تفسيرا للنص أو بيانا لخبر .

---

1) ـ محمد حسين الذهبي/الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص : 13
وفهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي/منهج المدرسة العقلية في الحديث وفي التفسير . ص : 312
وعبد الله أبو السعود/ مجلة المنار بحث الاسرائيليات في التفسير العدد 7 سنة 8 رجب 1403 ، مـاى 1983 . ص : 14
والنجار السيد زغلول / الاتجاهات الفكرية في التفسير . ص : 230 .

2) ـ عبد الله أبو السعود المرجع السابق .

3) ـ محمد أبو شهبة /الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفاسير . ص : 24 .

أقسام الاسرائيليات: الرواية الاسرائيلية اذا طبقنا عليها منهج علوم الحديث نجد منها ما هو مختل السند، وما هو صحيح السند وكذلك بالنسبة للمتن فمنه ما يوافق ما جاء به الاسلام ومنه ما يخالفه، ومنه السكوت عنه، وما صح سنده وهو من الاسرائيليات، يبقى خاضعا للتقسيمات الثلاثة التي صنفها السلف.

1 - الصحيح في الاسرائيليات: هو ما صح سنده في النقل عن بني اسرائيل وهذا قد يثبت أسطورية الرواية: لان أصل الخبر عند بني اسرائيل يقوم على الاسطورة، وأغلبه يكون مخالفا للحقيقة الا في بعض الاخبار التي تبقت من آثار الوحي: مثل: صفة الرسول (ص) والتبشير به فهذا خبر صحيح موافق للواقع روى البخاري: «حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قلت أخبرني عن صفة رسول الله (ص) في التوراة قال: أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا، ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع، بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول لا اله الا الله ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا»[1]. فهذا حديث صحيح النسبة لكتاب بني اسرائيل، ومضمونه يتوافق مع القرآن.

2 - الضعيف في الاسرائيليات، ومثاله كثير، منه «عن جابر بن عبد الله قال رسول الله (ص): يا معاذ اني مرسلك الى قوم أهل عناد فاذا سئلت عن المجرة التي هي في السماء فقل هي لعاب

---

1) - صحيح البخاري / (كتاب البيوع - باب كراهية السخب في الاسواق) ج: 3/ 21

حية تحت العرش»[1] في سند هذا الحديث الفضل بن المختار يحدث بالاباطيل «وقال أبو حاتم أحاديثه منكرة يحدث بالباطل وقال الازدي: منكر الحديث جدا وقال ابن عدي أحاديثه منكرة عامتها لا يتابع عليها»[2] والاسرائيليات تبقى دائما تحت حكم الموافقة والمخالفة لما جاء به الاسلام سواء صح سندها أم ضعف لان السند لا يعتبر من حقيقة مضمونها : لان لدينا مصدرها الاصلي - معتقدات اليهود وكتبهم - لا يقوم على سند صحيح يوصله للوحي .

- تقسيم الاسرائيليات حسب مضمونها : لقد قسم علماء اللغة كابن تيمية وابن كثير الاسرائيليات الى ثلاثة أقسام :

1 - الموافق لشريعة الاسلام وهو ما رواه بنو اسرائيل وكان موافقا للاسلام مثل الرواية التي حدث بها تميم الداري رسول الله (ص) ووافقه عليها : وكان حديث تميم يروى قصة رآها وعاش وقائعها وهي قصة الجاسة والدجال[3].

2 - المخالف لشريعة الاسلام : وهو أكثر الاخبار الاسرائيلية وخاصة ما جاء عن بني اسرائيل في قصص الانبياء وبعد الخلق ومثاله الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الارض بحرا محيطا بها ، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف - ماء الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك

---

1) - محمد بن محمد أبو شهبة / الاسرائيليات في كتب التفاسير . ص : 413

2) - الذهبي / ميزان الاعتدال في نقد الرجال . ص : 3/ 359 .

3) - محمد أحمد العزيز/ النهاية فتن وأهوال آخر الزمان . ص : 56 ، 57 .

البحر أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه ... حتى عد سبع أرضين وسبع أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات ، وقال ذلك قوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر»(1).

وكذلك جاء في تفسير السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ، ثم أناب»(33 ص) قال :هو الشيطان الذي كان على كرسيه ..»(2) ويروى في الحديث أن الشيطان كان يجامع نساء سليمان عليه السلام متمثلا في صورته ، وهذا مخالف لعقيدتنا لان الرسل لا يسلط عليهم الشيطان ، وهم مكلفون بتبليغ رسالات ربهم حتى الى الشياطين .

في المسكوت عنه : وهو ما لم تثبت موافقته ولا مخالفته فهذا النوع محل النظر من رواية الاسرائيليات .

أ - الجلسر : لقد دلت عدة آيات من القرآن الكريم أن أهل الكتاب قد حرفوا الوحي وانهم لا يعتد قون القول قال تعالى «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون» (74 البقرة) وقال تعالى: «ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا »(43 المائدة) فمضمون هذه الآيات يحرفون كلام الله عن تعمد وهذا مفاده ،أن أحبارهم مكذوبة عمدت أطلها وهذا تدعمه الاحاديث «عن محمد بن بشار حدثنا سفيان بن عيينة أخبرنا علي بن المبارك عن يحي بن أبي كثير عن ابي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية

---

(1) محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص 37 والسيوطي / الدر المنثور ، ص : 1/6

(2) [illegible] ، ص : 5/10 .

أهل الاسلام فقال رسول الله (ص) «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا»[1] وورد عن ابن عباس رضي عنهما قال «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه عليه الصلاة والسلام أحدث الاخبار بالله تقرأونه لم يشب وقد حدثكم الله ان أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ولا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[2] فهذه أدلة تبين أن أقوال بني اسرائيل فاسدة وبالتالي تمنع روايتها والاستشهاد بها في ما أجمله الكتاب والسنة كما لا تعد مصدرا لما لم يذكره الكتاب ولا السنة.

ب- الاباحة : لقد جاءت في القرآن آيات تشير الى اباحة مسألة أهل الكتاب تدليلا على صحة الوحي الذي أنزل على محمد (ص) أو على أحكام جاءت في القرآن ويوجد مثلها في كتبهم فقال تعالى «قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» (الاحقاف) وقوله تعالى «سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب» وقال تعالى «فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» (94 يونس) وان كان مدلول هذه الآيات يخص الاستدلال على حقيقة الوحي المنزل على سيدنا محمد (ص) بالاستشهاد بأهل الكتاب من مضمون كتبهم على صحة الرسالة وليس توجيها للمسلمين على استخدام ما عند أهل الكتاب في الاسلام ولكن نجد الحديث الذي رواه البخاري يبيح التحدث عن أهل الكتاب قال :«حدثنا أبو عاصم

1- صحيح البخاري / ج 5 / 190

2- الرضيع المصدر السابق / ج : 3 / 163.

الضحاك بن مخلد أخبرنا الاوزاعي حدثنا حسان عن أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو ان النبي (ص) ، قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1] أن الاباحة التي أباحها الحديث بالتحديث عن أهل الكتاب لا تتداخل مع مفاهيم الاسلام ونصوصه، وانما النبي (ص) ضبط ذلك بقاعدة في آخر الحديث حتى يتميز النص الاسلامي عن غيره الذي قد يكون محل اشتباه ولتدعيم النص الوارد عنه (ص) وبالتالي يكون النص الاسرائيلي موافقا لما عندنا واذا خالفه فانه تبين انحراف أهل الكتاب عن الوحي. وهذا ما ذهب اليه الاستاذ محمد حسين الذهبي : «الحق دين الاسلام معرفة واسعة ومعارفه ليست مقصورة على ما يدور في فلك المسلمين وحدهم من تشريعات خاصة ووقائع تتسلسل بتاريخ حياتهم وجهادهم الطويل وانما تمتد معارفه الى معارف أمم سالفة وديانات سابقة تأخذ منه الحق لتؤيد به حقها وتلفظ منها الباطل الذي لا يتفق وهديها»[2] والرأي في رواية الاسرائيليات بين الاباحة والحظر ما ذهب اليه ابن حجر في فتح الباري «كان النهي وقع قبل استقرار الاحكام الاسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة لما زال المحذور وقع الاذن في ذلك لما في سماع الاخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار»[3] لكن السؤال يبقى دائما قائما وهو : أتروى الاسرائيليات للبيان والتفسير أم تروى لبيان فسادها ومقارنتها بما جاء به الاسلام ؟ والصحيح أن الاسرائيليات جلها أخبار صاغها البشر باهوائهم وهؤلاء الذين كتبوا لليهود كتبهم ليسوا بمؤمنين وأقوالهم لا تقوم على قواعد ثابتة تنطلق من الوحي، بل كل منهم يكتب

---

[1] - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير و الحديث . ص : 45

[2] - محمد حسين الذهبي/ المرجع السابق . ص : 46 .

[3] - محمد حسين الذهبي/ المرجع السابق . ص : 46 .

حسب مزاجه ومعلوماته ومفهومه لما بلغه من معلومات وبالتالي تبقى الاسرائيليات مستبعدة من التفسير وانما تروى لبيان حقيقة الاسلام وبطلان ما كتبه بنوا اسرائيل.

طرق تسرب الاسرائيليات: لقد كان اليهود أكثر اتصالا بالمسلمين من غيرهم من أهل الاديان الاخرى وعاشروا العرب قبل الاسلام مدة فتعرب لسانهم واعتنق بعض العرب دينهم وهم أول من يدين بدين ما وى يواجه الرسول (ص) والمسلمين وبما تسلط عليهم أهل الاسلام ولم يستطيعوا رد وتوهين الدين الجديد اتخذوا أساليب مختلفة في مواجهته، أهمها اسلمي في الدين نفسه أما عن طريق متسللين يظهرون الاسلام ويحفون اليهودية أمثال عبد الله بن سبأ(1) وكان يطوف في الاقاليم ويؤلب الناس على الخليفة عثمان بن عفان تحت ستار التشيع لآل البيت وهو الذي دس الحديث: لكل نبي وصي ووصي النبي علي(1) وكان يقول لاتباعه «كان فيما مضى ألف نبي ولكل نبي وصي وأن عليا وصي محمد(2)» وقال «محمد خاتم الانبياء وعلي خاتم الاوصياء(3)» وقضية الوصية مستمدة من معتقدات اليهود فأراد ابن سبأ بثها بين المسلمين وهكذا كان ابن سبأ قدوة أهل الكتاب في وضع دس الاسرائيليات في الاسلام. واثارة شبهات وتحديات توقد نار الفتنة والفرقة بين المسلمين. كما صبغوا ما عندهم صبغة علمية اذ لا يعد الانسان متبحرا في العلوم الا اذا علم بما عندهم من أخبار سموها بعلم الاولين، وفعلا قد تأثر بعض علماء المسلمين واعتمدوا على أخبار اليهود مصادر لكتبهم كابن جرير الطبري في تاريخه وابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ؛ واعتنوا عناية واضحة بذكر تاريخ بني اسرائيل وأنبيائهم وما جرى بينهم

---

1) - محمد بن محمد أبو شهبة/ الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفاسير. ص: 32.

2) - شاه عبد العزيز حكيم غلام الدهلوي/ التحفة الاثنى عشرية. ص 317

3) - نفس المرجع السابق لشاه عبد العزيز حكيم غلام الدهلوي.

و لهم من حوادث ووقائع وبعض ما يذكر من ذلك لا أصل لها[1]». ومن ثم صارت المرويات الاسرائيلية مصادر علمية عند بعض المسلمين ودخلت بعض الروايات التي رواها بعض من مسلمي اهل الكتاب مثل تميم الداري وعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه الى التفسير والحديث لما استعملت شاهدا في تفسير القرآن وبالاخص قصص الانبياء وبدء الخليقة وأخبار الامم السالفة ولكن في عصر الصحابة كان التحري في الحديث والتثبت من سلوك رواته وحتى ما سمعوه من الاخبار من الذين أسلموا كان من باب الاطلاع وليس للاستشهاد وكان الصحابة يتحرون الصدق والامانة اذ لا يقبلون الحديث عن راو الا باقامة الشهادة على صحة ما يقول أو القسم عليه حتى يتأكد عندهم أن المروي صدر من عند الرسول (ص) واما في عصر التابعين ففشا الوضع والكذب ورفع بعض المرويات الاسرائيلية الى الرسول (ص) فتجرد العلماء من التابعين لذلك فحصوا الاحاديث وصاروا لا يقبلون رواية دون سند ثابت أهله عدول، ويتجلى هذا فيما رواه مسلم عن سيرين قال «لم يكونوا يسألون على الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم[2]» وازدادت حركة الوضع اتساعا وشدة في العصور الموالية الا أن علماء المسلمين ضبطوا الروايات بقواعد تفرز المقبول من المتروك وفي آخر القرن الاول بدأت عملية التدوين للسنة فجمعت الاحاديث في أبواب مختلفة حسب مواضيعها فكانت الاحاديث الخاصة بتفسير القرآن في باب التفسير في كتب الاحاديث وعندما انفصل علم التفسير عن الحديث أقحمت عدة روايات ضعيفة وموضوعة في كتب التفاسير ومن ثم جاءت كتب التفسير بالمأثور محشوة بالاسرائيليات الا ما قل منها.

---

[1] - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث. ص: 17

[2] - محمد حسين الذهبي / المرجع السابق. ج1. 20.

المتهمون برواية الاسرائيليات: لقد أتهم بعض الصحابة بالرواية من أهل الكتاب كما أتهم غيرهم من التابعين والعلماء الا ان هذه الاتهامات تقوم على أسس واهية ، ويدل عليها بعض المرويات عن هؤلاء وذلك لغرضين الاول اباحة رواية الاسرائيليات والثاني لوصف بعض الصحابة المشهورين بالغفلة ، وتهمة من أسلم من أهل الكتاب بالدس والزندقة ، لكن تقصي العلماء المحلصين للحقائق أثبت مواضع الضعف والقوة في الاسانيد.

1- طبقة الصحابة : لم يكن الصحابة يأخذون من أهل الكتاب علما جديدا بشرع الله وانما كانوا يسألون ملمي أهل الكتاب عن بعض الجزئيات التي أجملها القرآن ورجوع الصحابة الى أهل الكتاب كان للنظر في حقيقة علم أهل الكتاب وموازنة ما عندهم بالحقيقة القرآنية فكانو يكذبون ويردون ما خالف القرآن الكريم ويصدقون ما وافقه واذا نظرنا في أسئلة الصحابة لاهل الكتاب نجدها تتعلق بالقصص وأخبار من سلف من الامم ، واذا ظهر خطأ أهل الكتاب بينه الصحابة.

أبو هريرة : روى عبد الرحمن بن صخر حفظ عن النبي (ص) الكثير وعن أبي بكر وعن ابي ابن كعب[1] لقد اتهم أبو هريرة بترويج الاسرائيليات والسذاجة والغفلة فاستغله اليهود المتللون الى الاسلام في بث رواياتهم بين المسلمين وذلك بنسبة الرواية اليه . قال أبو رية :ويبدو أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة انخداعا به (أي كعب الاحبار) وثقة فيه .... ويتبين من الاستقراء أن كعب الاحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة[2] صحيح أن أبا هريرة نقل عن كعب الاحبار لكن

---

1) - الذهبي / تذكرة الحفاظ ،ص: 1/ 32

2) - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص : 60

3) - أبو رية / أضواء على السنة المحمدية ، ص : 207.

نقله كان مميزا للحقيقة وكان يناظر كعبا وعبد الله بن سلام في روايتهما ويتحرى الصواب ما استطاع ويرد أقوال أهل الكتاب المخالفة للكتاب فمثلا : لقد سأل أبو هريرة كعب الأحبار عن ساعة الاستجابة هل هي في يوم كل جمعة أو في كل سنة فيقول كعب : جمعة لكل سنة فيرد أبو هريرة قول كعب ثم يرجع كعب الى كتب أهل الكتاب فيجد الصواب مع أبو هريرة[1] كذلك ذهب أبو رية الى التشكيك في روايات أبي هريرة واتهامه بالكذب والتدليس فاقتطع مقولة من رواية ابن قتيبة وهي قوله : «فلما أتى من الرواية ما لم يأت بمثله من صحبه من جملة أصحابه والسابقين الاولين اليه اتهموه وانكروا عليه ، وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك ومن معه معك وكانت عائشة رضي الله عنها أشدهم انكارا عليه لتطاول الايام[2] بها وبه» ولم يكمل أبو رية مقولة ابن قتيبة التي قال فيها «فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان الزمهم لرسول الله لخدمته وتبع بطنه وكان فقيرا معدما وانه لم يكن يشغله عن رسول الله (ص) غرس الوادي ولا الصفق في الاسواق ... فعرف مالم يعرفوا وحفظ مالم يحفظوا أمسكوا عنه[3]» وهذا التصرف مع أبي هريرة يبين تثبتهم وحفاظهم على السنة ولما عرفوا أن كثرة روايات أبي هريرة تعود الى ملازمته للرسول (ص) أكثر من غيره وثقوا منه . وكذلك فات أبا رية أن الصحابة ليس كل ما رووه سمعوه من الرسول (ص) «وانما قد يرفعون ما سمعوه من بعضهم الى الرسول (ص) وقد يكون مما نسب الى أبي

---

1) ـ محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص : 58 .

2) ـ ابن قتيبة / مختلف تأويل الحديث . ص : 38 .

3) ـ المرجع السابق . ص : 40 .

هريرة من روايات كعب من وهم الرواة الذين يروون عنه أو من تدليس الوضاعين عنه ، ويكفي أبا هريرة أن جعله الرسول (ص) حارسا على بيت مال المسلمين فهذه شهادة من رسول الله (ص) لفطانة وأمانة أبي هريرة .

عبد الله بن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول (ص) : لقد اتهمه المستشرقون وأتباعهم انه رضي الله عنه كان يعتمد على كعب الاحبار وعبد الله بن سلام وكانا المرجعين المفضلين عنده وانه كان يروى الحديث أن النبي (ص) قال : «اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» لكن نقل وصدق[1] . وهذا الاتهام له ما يفنده :

المتسللون الى الاسلام بعد الصحابة والتابعين هم الذين ألصقوا بابن عباس والمسلمين من أهل الكتاب روايات موضوعة ، أو رواها الصحابة للمقارنة أو نقدا لكتاب اليهود والنصارى فوضعها المتأخرون في غير موضعها : وذلك اذا ما تتبعنا الاسرائيليات التي رواها الصحابة فلا نجدها تمس العقيدة أو تضيف تشريعا انما أغلبها كان حول تفصيلات في أحوال الامم السابقة والقصص ولم يكونوا يقبلون كل ما يروى لهم بل يخضعونها الى ميزان القواعد الدينية والعقلية فما وافق الدين صدقوه وما خالفه تركوه ، وعلى رأس الصحابة ابن عباس الذى كان أشد الناس انكارا للروايات الاسرائيلية[2] . وهو صاحب القول الذى رواه البخارى في صحيحه انه قال : «يا معشر المسلمين تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه (ص) أحدث الاخبار بالله ، تقرأونه لم يشب وقد حدثكم الله ان أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب قالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم

---

1 - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير و الحديث . ص 62

2 - المرجع السابق . ص : 63 .

عن ما سألتهم، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[1]. وهذا يبطل دعوى المستشرقين ان ابن عباس يرجع الى أهل الكتاب في فهم القرآن وان كان الادعاء لا يقبله العقل لان ابن عباس أفهم للغة القرآن والرسول (ص) من اليهود والنصارى. ولقد كثرت الروايات الاسرائيلية المنسوبة لابن عباس لكن اذا ما فحصنا أسانيدها وجدناها جاءت من أضعف الطرق عليه وهي :

- طريق السدي الكبير؛ مختلف فيه .
- الضحاك بن مزاحم الهلالي .
- عطية العوفي .
- مقاتل بن سليمان الازدي .
- محمد بن السائب الكلبي[2] .
- رواية كثير بن عمار عن أبي دلوق عنه؛ ضعيفة[3] .

عبد الله بن سلام : «هو الحصين أبو يوسف سماه الرسول (ص) عبد الله وعن مالك عن سالم أبي النظر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ما سمعت رسول الله (ص) يقول لاحد انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام. وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني اسرائيل) على مثله[4]». وهذه الشهادة من الرسول تثبت مكانة عبد الله بن سلام وتنفي عنه جميع الشبه التي ألصقها به المغرضون ليضربوا من خلاله الدين ويشككوا في اسلام عبد الله بن سلام : ونجد علماء الحديث يعدلونه ويوثقونه وما رواه من

---

1) - صحيح البخاري . ص :3/ 163

2) - رمزي نعناعة / الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . ص :125 .

3) - محمد أبو شهبة / الاسرائيليات والموضوعات في التفسير. ص :219 .

4) - الذهبي /تذكرة الحفاظ . ص : 1/ 25 .

الاسرائيليات فهو من قبيل ما لا يضر بالدين في شيء وما أكثر ما نسب اليه من تلك الاسرائيليات (1).

تميم الداري: «وهو تميم بن أوس بن حارثة وقيل خارجة بن سود وقيل سواد بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الداري مشهور في الصحابة كان نصرانيا قدم المدينة فاسلم ... سنة تسع أول من قص وذلك في عهد عمر»(2). وتصريح عمر لتميم التحدث بالقص دليل على ثقة الرجل ومكانته بين الصحابة وقد استمع الرسول (ص) لحديثه عن الجاسة والدجال وأقره ووافقه بتصريح أمام جمع من الصحابة على قوله وروى الحديث مسلم في صحيحه الا أننا نجد أبا ريه يقدح في تميم قال «مما بثه تميم الداري من ميجياته ما ذكره النبي (ص) من قصة الجاسة والدجال ونزول عيسى»(3). وقول أبي ريه ينافي العقيدة الاسلامية التي تجعل ما وافق عليه الرسول (ص) هو من عنده ولا يفهم من قوله أن روايات تميم الداري كانت من تخليطه لمحاربة الاسلام وهذا مناف للعقيدة، والصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب لم يحترموا تميما الا لمكانته عند النبي (ص) والحديث صحيح روى من طرق متعددة واذا كانت علة رفض الحديث: شكل الجاسة وهي من الغيبيات فكيف بنا أن نؤمن بالغيب والحساب وهذه الامور أشد وطأة على العقل ويتبين أن أبا ريه هو المدسوس على المسلمين ليضرب دينهم.

ويذهب السيد رشيد رضا، مذهب أبا ريه في ضربه لمسلمي أهل الكتاب واتهام تميم الداري بوضع الحديث ورفعه للنبي (ص) (4).

---

1) - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث. ص: 72.

2) - ابن حجر العسقلاني / الاصابة في تمييز الصحابة. ص: 1/ 184.

3) - أبو ريه / أضواء على السنة المحمدية. ص: 182.

4) - فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي / منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. ص: 321.

طبقة التابعين : توسع التابعون في رواية الاسرائيليات أكثر واشتهر بعضهم بها في تفصيل القصص القرآني وأخبار الامم السالفة فتوجهت التهمة الى مسلمي أهل الكتاب ككعب الاحبار ووهب بن منبه ، وان كان منهم من تظاهر بالاسلام وس للمسلمين ما يفسد الاسلام كعبد الله بن سبأ .

كعب الاحبار : « كعب بن ماتع الحميري من أوعية العلم وكبار علماء أهل الكتاب أسلم في زمن أبي بكر ... وروى عنه جماعة من التابعين مرسلا وله عند في صحيح البخاري وغيره »[1] . ولقد نسبت اليه رواية الاسرائيليات وبعض ما نسب اليه صحيح ولكن لم يكن كعب كثير التحرج بروياته أو يدري فيها ما ليس في الدين وانما كانت رواياته للعلم بمضمون كتب اليهود وهذا كان ذريعة لان ينسب اليه ما لم يقله ، فاصابه بذلك مذمة كبيرة فنجد رشيد رضا يقول عنه : (كان كعب يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم ... مقاصد كعب الاحبار وأمثاله منها كما ترى صد اليهود عن الاسلام بما يرويه في تفسير المسلمين للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين في وقائع عملية وأمور حسية »[2] فرشيد رضا هنا يتهم كعب الاحبار بتهمتين باطلتين الاولى افساد الاسلام على أهله ، والثانية تحريف الاسرائيليات ليصد اليهود عن الاسلام .

وسير أبو رية في المنهج نفسه ويبالغ فيه حتى جعل يدا لكعب في قتل عمر رضي الله عنه وأورد في ذلك مرويات[3] لكن

---

1) - الذهبي / تذكرة الحفاظ . ص : 1/ 52 .

2) - فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي / منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير . ص : 322 .

3) - أبو رية / أضواء على السنة المحمدية . ص : 182 .

اذا ما رجعنا الى كتب النقاد نجدهم قد اتفقوا على توثيق كعب وهذا لا نجد له ذكرا في كتب الضعفاء والمتروكين[1] ووثقه معاوية رضي الله عنه وأثنى عليه وأما تهديد عمر له يترك التحديث من كتب اليهود فكان مخافة اختلاط الاسرائيليات بالاحاديث الصحيحة وروى في ذلك نفس مسلمة بن حجاج بسنده الى بشر قال «اتقوا الله وتحفظوا بالحديث ووالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله (ص) ويحدثنا عن كعب الاحبار، ثم يقومون فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله (ص) عن كعب وحديث كعب عن رسول الله (ص)»[2] فهذا يلام فيه الرواة الذين اختلطت عليهم الرواليات ولا ذنب لكعب في ذلك وتكفيه رواية البخاري عنه براءة من الكذب.

وهب بن منبه: وهو أبو عبد الله الصنعاني روى عن أبي هريرة كثيرا وعن عبد الله بن عمر وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبد الله[3]. قال العجلي: «ابن منبه من الابناء تابعي ثقة»[4]. لقد روى الاسرائيليات أكثر من غيره لكن: لو عرضت هذه الاسرائيليات التي رواها على قواعد المحدثين لوجد الكثير منها منسوبا اليه استغل واضعوها اسمه لشهرته في نسبة وضعهم[5] ولقد روى له البخاري وأبو داود والترمذي ووثقه الذهبي والعجلي، وضعفه الفلاس وحده[6] وما دام الجمهور وثقه فهذا دليل على أن وهبا كان عالما صادقا في ايمانه وإسلامه وان ادعاء محمد رشيد رضا وأبي رية من باب الغلو.

---

1) - رمزي نعناعة / الاسرائيليات وأثرها في كتب التفاسير، ص: 168، 85
2) - محمد حسين الذهبي/ الاسرائيليات في التفسير والحديث، ص: 79
3) - الذهبي / تذكرة الحفاظ، ص: 1/ 100.
4) - العجلي / تاريخ الثقات، ص: 467،
5) - محمد حسين الذهبي نفس المرجع السابق، ص: 79.
6) - نفس المرجع السابق، ص: 85.
و فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي/منهج المدرسة العقلية، ص: 321.

والاكثار في رواية الاسرائيليات ورفعها للرسول (ص) تعود دائما في أغلب الاحيان الى الرواة الناقلين كما ذكر مسلمة بن الحجاج سابقا وهذا يبين أن وهبا وكعبا كانا يرويان الاسرائيليات لا للبس ولا لنشر معتقدات أهل الكتاب بين المسلمين وانما كانت لغاية العلم واثبات حقيقة الاسلام وأبطال باطل أهل الكتاب وبيان ما حرفوه . وقد اتهم بعض تابعي التابعين بالتهم نفسها فمنهم من اتهم بالتدليس ومنهم الثقة ، فمن المشهورين برواية الاسرائيليات مقاتل بن سليمان : الذي أفرط في حشو تفسيره بالخرافات والاباطيل والضلالات وهو متهم مجروح من علماء عصره (1) . وأما محمد بن السائب الكلبي : فقد اشتهر انه كان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، قال البخاري: «تركه يحي بن مهدي» وقال ابن حبان كان الكلبي سبائيا، من أولئك الذين يقولون أن عليا لم يمت (2) وبهذا يكون محمد بن السائب الكلبي وضاعا : وكذلك نجد تلميذه محمد بن مروان السدي لقد ضعفه البخاري وابن معين (3) . فهو لا أشهر من روى الاسرائيليات ودسها في التفسير وبذلك يتضح لنا المدلس الذي يضع الحديث أو يدسه وينسبه الى الرسول (ص) من الثقة الذي يروي الرواية الاسرائيلية من أجل العلم والمعرفة .

الاسرائيليات في قصة الخلق الواردة في بعض التفاسير:

لقد تباينت كتب التفاسير في ذكر الاسرائيليات فمنها ما يذكرها ناسبها ويسندها ولا ينقد الرواية ولا السند مثل السيوطي في كتابه الدر المنثور، ومنهم من يروي وينقد الرواية كابن كثير في تفسيره للقرآن ، وهناك من يأخذ الرواية الاسرائيلية شرحا للآيات

1) - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص: 86

2) - نفس المرجع السابق . ص: 92 .

3) - نفس المرجع السابق . ص: 95 .

١ـ لدينا الحديث الذي يرويه مسلم عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال: «أخذ رسول الله (ص) بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل»[1]. قال ابن كثير هذا من غرائب الصحيح» وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه عن كعب الاحبار، وهذا ما ذهب اليه الالوسي في تفسيره[2]. اذا كان هذا الحديث مرويا في جملة الاحاديث الصحيحة وتعرض للنقد ونسب الى روايات كعب الاحبار واذا كانت دقة النقد تصل الى هذه الدرجة فان بقية الاسرائيليات تكون أكثر وضوحا ويمكن تجنبها وروايتها للنقد والدراسة المقارنة بين ما عند اليهود وما كانوا يملكونه قديما. وعندما قارن هذا الحديث بما جاء في التوراة نجدهما متشابهين مما يقوى مقولة الالوسي انه من روايات كعب الاحبار، وهذا الحديث أورده ابن كثير في تفسيره (5/ 405) ورواه القرطبي في تفسيره الجامع لاحكام القرآن (6/ 395) في تفسير سورة الانعام. وذكره الالوسي في روح المعاني (24/ 106) ورواه السيوطي في الدر المنثور (3/ 91).

قال ابن كثير: «هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم قد تكلم عليه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب وان أبا هريرة انما سمع من كلام كعب الاحبار وانما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا وقد حرر ذلك البيهقي[3].

1ـ صحيح مسلم، ص: 8/ 127.
2ـ الالوسي / روح المعاني، ص: 24/ 106
و أحمد البنا / الفتح الرباني، ص: 20/ 8
3ـ ابن كثير / تفسير القرآن، ص: 1/ 120
وانظر ايضا ابن عاشور / التحرير و التنوير، ص: 24/ [illegible]

2- ومن رواية الضحاك عن ابن عباس «فما ما يوم السبت فلم يخلق فيه خلق لأنه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو : القطع والضحاك هو : ابن مزاحم البلخي المفسر كناه ابن معين أبا القاسم وقال : الطيالسي الضحاك لم يلقي ابن عباس انما لقي سعيد ابن جبير، وقال يحي بن سعيد الضحاك ضعيف عندنا (1)

3- قال السدى في تفسيره : «عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة ابن مسعود وعن أناس من الصحابة «هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم» (28 البقرة) قال : (ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الاحد والاثنين فخلق الارض على حوت والحوت هو الذى ذكره الله في القرآن (ن والقلم) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت ، فالجبال تفخر على الارض وذلك قوله : (وجعل لها رواسي أن تميد بكم) وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله : (أئنكم لتكفرون بالذى خلق .... الى قوله وبارك فيها) يقول أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها بقول لاهلها (في أربعة أيام سواء للسائلين) يقول من

---

1) - الذهبي / ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ص :2/ 326

سأر فهكذا الأمر ، ثم استوى الى السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين يتنفس ثم فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة انه سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والارض وأوحى في كل سماء أمرها قال : خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار والجبال والبرد وما لا يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش. هذا الحديث وارد عن طريق السدي عن ابن عباس وهي من الطرق الضعيفة عن ابن عباس كما سبق وذلك ان السدي تلميذ ابن السائب الكلبي «وقال البخاري - كتبوا عنه ولا يكتب حديثه البتة وقال ابن معين ليس بشقة»[1]. أورد هذا الحديث ابن كثير في تفسيره (1/ 119) والسيوطي في تفسيره الدر المنثور (1/ 43). والقرطبي في تفسيره الجامع لاحكام القرآن (1/ 256) وأضاف السيوطي في هذه الرواية في تفسيره «(الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) (12 الطلاق) ان الحوت اسمه بهموت وهو يحمل فوقه الثور الذي يحمل الارضين على قرنيه وقال ان عبد الله بن سلام سأل النبي (ص) على ما الحوت؟ قال (على ماء أسود وما أخذ منه الحوت الا كما أخذ حوت من حيتانكم من بحر هذه البحار)، وحدث أن ابليس تفلفل الى الحوت تعظم له نفسه فقال ليس خلق بأعظم منك غني ولا أقوى توجد الحوت في نفسه فتحرك فمنه تكون الزلزلة اذ تحرك فبعث الله حوتا صغيرا فاركنه في أذنه فاذا ذهب يتحرك تحرك التي في أذنه فركن[2]» ولم ينته هنا بل عقب عليه برواية تدعم ما روى فقال «أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من طريق مجاهد

1- محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص : 94 .
2- السيوطي / الدر المنثور . ج : 1/ 256 .

عن ابن عباس في قوله (ومن الارض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم بتكذيبكم بها»[1]

4- جاء في تفسير القرطبي في تفسير قوله تعالى(وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (7 هود) ان الله خلق العرش والماء قبل خلق الارض والسماء وروى عن كعب فقال : «خلق الله ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى ، فذلك يرتعد الماء الى الآن وان كان ساكنا»[2] وهذه من روايات كعب نقلها عن كتب اليهود .

5- وقال وهب : «لما خلق الله الارض مادت على وجه الماء فقال لجبريل ثبتها يا جبريل فنزل فامسكها فغلبته الرياح فقال يارب أنت أعلم لقد غلبت فيها فثبتها بالجبال» أورد هذا الحديث القرطبي في تفسيره (15/ 343) .

6- عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال هنأ[3] : «قرأت سائر الحديث ان اليهود أتت النبي (ص) فسألته عن خلق السموات والارض فقال (ص) خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال تعالى (أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين)(9 ، فصلت) وخلق يوم الخميس السماء ويوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات يقين منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الاجال حتى يموت من مات وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء من منتفع به ، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد ثم قال

---

1) ـ السيوطي / الدر المنثور ، ص : 6/ 238 .
2) ـ القرطبي / الجامع لاحكام القرآن ، ص : 9/ 8
3) ـ الذهبي / ميزان الاعتدال قال :(هنا رواية موضوعة ، الملا) ص : 4/ 34 .

ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت، ثم قالوا: استراح فغضب النبي غضبا شديدا فنزل قوله (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون) (38 ق) «قال ابن كثير «هذا الحديث فيه غرابة»[1] رواه السيوطي في تفسيره الدر المنثور (5/ 360) وروى بعده عدة أحاديث متشابهة تحدد الخلق بالايام وتعين لكل يوم ماذا خلق فيه، وقال السيوطي في هذا الحديث «صححه ابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات» ولكن نجد الذهبي يقول «ان هنادا راوي الحديث ضعيف يروي الموضوعات والبلايا»[2] وهذا يتجلى في نص الحديث.

7 ـ قال ابن أبي حاتم: «حدثنا أبي قال حدثت عن محمد ابن اسماعيل المخزومي حدثنا الليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس قال: «خلق الله تعالى من وراء هذه الارض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الدنيا مترفرفة عليه، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الارض سبع مرات ثم خلق من وراء بحرا محيطا بها، ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مترفرفة علية حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات وقال ذلك قوله: (البحر يمده من بعده سبعة أبحر) أورد هذا الحديث السيوطي في تفسيره الدر المنثور (6 / 101) وقال ابن كثير انه أثر غريب لا يصح، وعده من خرافات بني اسرائيل[3]. وجاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ان الليث بن أبي سليم ضعفه يحيى والنسائي وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره غير أن ابن معين وثقه[4].

1) ـ ابن كثير / تفسير القرآن . م : 6/ 169
2) ـ الذهبي / ميزان الاعتدال . م : (4/ 310) .
3) ـ محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث . م : 37
4) ـ الذهبي . مرجع السابق . م : (3/ 423) .

«قال ابن الجوزي في الاحاديث الموضوعة : ومن هذا حديث ان قاف جبل زمردة خضراء محيط بالدنيا كاحاطة الحائط بالبستان والسماء واضعة أكنافها عليه»(1).

8- اخرج ابن جرير والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن مسعود وأنفار من الصحابة قالوا «بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض أعوذ بالله منك أن تنقص مني فرجع ولم يأخذ شيئا وقال يا رب انها أعاذت بك فاعذتها ، فبعث الله ميكائيل كذلك فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به ، فبل التراب حتى صار طينا لازبا ، واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض، ثم قال :(للملائكة اني خالق بشرا من طين)فخلقه الله بيده لئلا يتكبر عليه ابليس فخلقه بشرا سويا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعا ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فيقول لامر ما خلقت ويدخله من فيه ويخرج من دبره ، ويقول للملائكة لا تذعبوا منها فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لا هلكته فلما بلغ الحين الذي يريد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل في رأسه عطس فقالت الملائكة الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله له يرحمك ربك فلما دخلت الروح في عنقه نظر الى ثمار الجنة فلما دخلت

---

1) ـ محمد أبو شهبة / الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص : 428.

الى جوفه اذا تهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة وذلك قوله تعالى: (خلق الانسان من عجل)» أورده السيوطي في تفسير : (واذ قال ربك للملائكة (29 البقرة) في كتابه الدر المنثور(1/ 47).

فهذه الروايات الاسرائيلية رواها عدة مفسرين واستشهدوا بها على دلالة معاني الآيات التي تناولت قصة الخلق غير اننا نجد طائفة منهم تسند الرواية وتترك للقارئ البحث في الصحة والضعف ولكن هذا غير متيسر لعامة الناس،ومن المفسرين من اذا أورد رواية اسرائيلية نقد متنها وسندها وبين ما ينكر فيها وعلى رأس هؤلاء ابن كثير ومحمود بن عبد الله الالوسي البغدادي : فكانا حربا على الروايات الاسرائيلية .ووجها انتقادات حتى للنصوص التي صح سندها ، ولكن متنها لم يوافق الاصول الاسلامية كالحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة قال: (أخذ رسول الله بيدي) والسبب في ذلك أن هذين المفسرين لم يحملا رواسب حضارات قديمة أو ديانات أخرى واثرت عليهم البيئة العربية الاسلامية فجاء تصورهم نقيا (1)

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير : هذا تفسير بالمأثور لكنه يتميز عن غيره بنقد الروايات واخضاعها لميزان المحدث الذي يبين مواضع الضعف في الرواية : وامتاز ابن كثير بنقد الاسانيد والمتون وتميز الصحيح من المدكوك فيه ولم يضاهه في ذلك مفسر (2) ويكفي أن يستشهد بما فات من روايات نقدها ابن كثير نقدا علميا . ولذلك يعد تفسير ابن كثير من أصفى وأنقى تفاسير القرآن الكريم بالمأثور : ولعلمنا أن الصحيح الثابت المروي عن الرسول (ص) في تفسير القرآن قليل جدا ولم يشمل كل أيات القرآن وكذلك تفسيرات الصحابة والتابعين

---

1) - فتحي رضوان / الاسلام والمسلمون . ص : 460 .

2) - محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص :101 .
و رمزي نعناعة / الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . ص :323 .

لم تستوعب القرآن كله فاكثر ما روى فهو ضعيف أو موضوع وخاصة ما روى في قصة الخلق[1] فابن كثير لا يورد من الروايات الا ما رآه جائز الرواية عن بني اسرائيل .

روح المعاني للالوسي البغدادي : سلك مسلك ابن كثير في الرواية ونقدها الا انه توسع في النقد وهو يستدل على بطلان الاسرائيليات بما يمكن من الادلة النقلية والعقلية والحقائق العلمية مثل ما جاء في قصة الخلق من روايات . فنقد تسمية الايام الستة التي تم فيها الخلق بايام الاسبوع المعروفة واستدل على ذلك بأنه لم يثبت تسمية هذه الايام لا بالقرآن ولا بالسنة وذهب الى أن مدلول اليوم في القرآن ليس هو المدلول المعروف عندنا الذي تحدده حركة الارض حول نفسها وحول الشمس[2]. وأورد قصة الياقوتة الحمراء التي نظر اليها الله بعين الجلال فذابت وصارت ماء . فالياقوتة جسم مركب من عناصر الطبيعة الموجودة في الارض وباعتها الارض غير موجودة . ويتضح أن الالوسي من أشد المفسرين ونقدا للاسرائيليات ... وكأني بالالوسي وهو يكتب تفسيره الذي استمده من أكثر تفاسير من سبقه من العلماء . هاله كثرة ما في معظمها من اسرائيليات وأخبار لا أصل لها فنقلها عن هذه الكتب لا عن تصديق لها ولا عن شغف بها ، وانما نقلها لينبه على أخطائها ويحذر من تصديقها[3].

تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور : هذا كتاب جمع فيه

---

1) ـ محمد أبو شهبة / الاسرائيليات في الموضوعات والتفسير . ص : 116

2) ـ الالوسي / روح المعاني . ص : 24/ (106 ، 102)

3) ـ محمد حسين الذهبي / الاسرائيليات في التفسير والحديث . ص : 137 .

مؤلفه أغلب الآثار الواردة في تفسير القرآن ، ولم يتعرض السيوطي لنقد الروايات لا من ناحية أسانيدها ولا من ناحية متنها وجمع الصحيح والموضوع ونادرا ما يذكر تصحيح بعض المحدثين أو تقديم ، وبعض الروايات التي ضعفها بعض المحدثين صححها وقال انها صحيحة . مثل ما ذكره في عمر الدنيا : وانه سبعة آلاف سنة وان النبي محمدا (ص) بعث في آخر الساعة فقد ورد ذلك مرفوعا الى النبي (ص) وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في كتابه الموضوعات وقد قال السيوطي انهما صحيحة »[1] وهذه الرواية يبطلها الواقع المعيش وكل ما يقال عن كتاب السيوطي انه جمع فيه ما بلغه دون أن يميز الصحيح من الموضوع، بل يروي بعض الموضوعات متسلسلة وكأنه يدعم هذه الروايات.

_ أثر الاسرائيليات في الذكر الاسلامي : في صدر الاسلام أراد اليهود أن يتخذوا الذكر الاسلامي مركبا يحمل ويحفظ فكرهم ومعتقداتهم فاجتهدوا في دس رواياتهم ضمن الاحاديث النبوية والتفسير، كما نجد بعض مسلمي أهل الكتاب حدثوا ببعض الروايات الاسرائيلية من كتب اليهود عن حسن نية وللعلم بما عند أهل الكتاب فاستغلها المغرضون في ترويج الاسرائيليات وترويض العقلية الاسلامية على التعايش مع أفكارهم أو معتقداتهم، ليبثوا الانحراف الذي نقلوه من الديانات الوثنية بين أتباع الاسلام تحت شعار العلم فاشعروا بعض الضعفاء انهم يملكون : التفاصيل والبيانات لما أجمله القرآن من قصص الانبياء وأخبار الامم السابقة وحملوا هذه الروايات بالاساطير[2]. والخرافات ، وبمرور الزمن ظن هؤلاء أن تلك الخرافات ترسخت في العقلية الاسلامية وصارت من معتقداتهم، فنشط أبناء أهل الكتاب في العصور الحديثة

---

1) _ محمد أبو شهبة / الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفاسير . ص : 405.

2) _ الشحات السيد زغلول / الاتجاهات الفكرية في التفسير . ص : 245.

ووجهوا انتقادات تبين بطلان تلك الأساطير والخرافات التي اعتقدها أجدادهم لمعارضتها ما يسمى بالنظريات العلمية وعمموا النقد على الاسلام لكن علماء الاسلام هم السابقون لنقد تلك الروايات وأبطالها بمنهج علمي دقيق وكان لهذا المخطط الاسرائيلي أثر في عقول بعض أبناء هذا الدين فانجروا وراء تفسير القرآن واعطاء مفاهيم لنصوصه توافق الكتشوف العلمية والنظريات وصارت هذه الأخيرة حكما على صحة وبطلان ما جاء به القرآن عند هؤلاء ، قال محمد أبو شهبة في هذا المضمار «وكأن هؤلاء الذين وضعوها وألصقوها بالنبي (ص) زورا كانوا يدركون ببعد نظرهم انه سيأتي اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق العلمية لهذه الامور الكونية ، ومعرفة التعليلات الصحيحة لسنة الله في الكون فتنبوا اليه هذه الخرافات كي يتذكروا في عصمة النبي (ص)»(1) فاثار الاسرائيليات على الفكر الاسلامي مزدوج حيث نسبت للاسلام الخرافة وفي الوقت نفسه تحث أتباعه على البحث العلمي الحديث فيتبعوا الاسرائيليات الحديثة مثل ما حدث لبعض العلماء المسلمين الذين انخدعوا بنظرية داروين ودولامارك ففسروا آيات القرآن على مفهوم هذه النظريات معتقدين انهم خلصوا الدين والفكر من الخرافة والاسطورة «ولعل عذرهم في هذا هو حماسهم لاثبات ما يتصورون انه اعجاز علمي للقرآن الكريم يتأكد من سبقه للعلم الحديث»(2) ومن أمثال هؤلاء عبد الكريم الخطيب الذي يقول «ان آدم لم يخلق مباشرة من التراب وانما كان خلقه (خلقة) في سلة التطور انه اذا كان الطين مبدأ الخلق فانه تنقل في هذا الطين من عالم الى عالم ... حتى كان الانسان آخر حلقة سلالة في هذا التطور فظهر فيها الكائن العاقل

---

1) ـ محمد أبو شهبة / الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . ص : 401 .

2) ـ عبد العزيز كامل / مجلة عالم الفكر في القرآن والسيرة النبوية بحث القرآن والتاريخ ، العدد12 سنة يناير فبراير ، مارس1982 ص : 77 وزارة الاعلام الكويت .

وهـــو آدم(1). وهـذا منزلـق انزلـق فيـه الكثير أمثـال عبـدالكريم الخطيب وجمال الدين الفندى في كتابه السموات السبع فجاء بمفهوم غريب لمعاني السموات السبع، ومفهومه مخالف للنصوص الالاهية ومن المفسرين المعاصرين الذين تنبهوا لهذا المزلق السيد قطب حيث قال : «ان الارض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت . ولكن هذه ليست سوى نظرية فلكية ، تقوم اليوم وقد تنقض غدا ، وتقوم نظرية أخرى تصلح لتفسير الظواهر الكونية بفرض آخر يتحول الى نظرية ... ونحن أصحاب هذه العقيدة لا نحاول أن نحمل النص القرآني المتيقين على نظرية غير متيقنة تقبل اليوم وترفض غدا ... ونتقبل النظريات الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التي قررها القرآن ، ولكنا لا نجري النص القرآني وراء أية نظرية فلكية ولا نطلب تصديقا للقرآن في نظريات البشر وهو حقيقة متيقنة ، أو قصارى ما يقال ان النظرية الفلكية القائمة اليوم لا تعارض المفهوم الاجمالي لهذا النص القرآني السابق عليها باجيال(2). ويعود تاهل المفسرين القدامى في رواية الاسرائيليات الى تلك الروايات التي لا تمس الاحكام التشريعية فاغلبها جاء في أخبار الماضي ، لكن لم يتنبأ هؤلاء بمضار الروايات الاسرائيلية التي اتخذت بعد ذلك ذريعة لنسبة الخرافة الى العقائد الاسلامية ، الا أن هؤلاء

---

1)- عبد الكريم الخطيب / قصتا آدم ويوسف عليهما السلام . (26/ 27). وعبد العليم عبد الرحمن خضر / الانسان في الكون بين القرآن والعلم ص : 53 .

ويسرى عبد الرزاق الجوهري / السلالات البشرية . ص : (9-18) .

2) - سيد قطب / في ظلال القرآن . ص: 17/ 2372.

المفسرين رفعوا عن أنفسهم تبعة الرواية : بذكر سندها كما يقال من أسند فقد حملك : أي حملك معرفة عدالة وضبط الرواة ، ولكن هذا ليس في متناول الجميع والاشكال الذي وقع هو : ان الخلف نقل هذه الروايات دون ذكر سندها فصارت ثابتة بمجرد نسبتها الى المفسرين الاوائل كالطبري والنسفي[1] .... الخ . فصارت تذكر دون سند ولا نقد فبسبب ذلك رواجها بين عامة المسلمين ، لكن هذه الحوادث التي وقعت في العلوم الاسلامية عبر التاريخ حفزت العلماء في كل جيل للتصدي لتحديات عصره مما ثبت الحقيقة الاسلامية وزادها صلابة ومتانة في مواجهة الانحراف عن منهج الوحي وفي الوقت نفسه ثبت فساد تلك المناهج المخالفة لتعاليم الوحي .

---

1) ـ ثقافة الداعية يوسف القرضاوي / مجلة الدعوة العدد 30 السنة 27 ذو الحجة 1398 نوفمبر 1978 ـ القاهرة ـ ص: 32 .
والمرجع السابق ـ العدد 26 ـ شعبان 1398 ، ص: 34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــاتمـــــة

دراسة الفكر اليهودي توضح علاقة اليهود بغيرهم ومدى تأثرهم بافكار من احتكبهم من الامم ، كما تبين دورهم، ونشاطهم في تحريف الوحي ، منذ بعثة موسى عليه السلام ـ ليطبعوه بطابع وثني ، يخدم مصالح فيئة معينة على حساب الآخرين ، مستخدمين في ذلك أسماء الرسل عليهم السلام ، وكتبهم واجهات تعطي لمعتقداتهم وتشريعاتهم هيبة وقدسية في نفوس عوامهم .

أما دورهم في تحريف الاديان الاخرى كالنصرانية والاسلام ، تمثل منافقين الى هذين الدينين ليبثوا الانحرافات ، ويثيروا الفتن بين أتباع الدينين . ويمكن تلخيص دور الشعب المتحرف للتحريف في ما يلي :

ـ من خلال تاريخ الشعب اليهودي يتبين أن دينهم تم تأسيسه على يد شخصيات عبر مراحل زمنية ، وليس من الوحي الخالص وكان دينا قوميا يخدم مصالح اليهود فقط . وتضمن هذا الدين معتقدات وثنية ، كاعتقادهم أنهم أبناء الله وشعبه المختار دون غيرهم ، وتشبيههم الله بالبشر . وهذه المعتقدات حملها الفكر اليهودي من الديانات الوثنية التي قهر أتباعها اليهود.

ـ ورث اليهود في دينهم المختلق :

أ ـ المكيدة لكل من يحاول اصلاحهم من الانبياء والرسل .

ب ـ نمى منافقين في الاديان الاخرى ليبثوا فيها معتقداتهم ومفاهيمهم حتى يستطيعوا التعايش مع أهله .

جـ ـ الاحتفاظ ببعض التصورات والاحكام التي جاء بها الوحي تخدم أدلة على أن كتابهم منزل على موسى والانبياء من بعده عليهم السلام وذلك ليعطي المصداقية لاقوال وآراء الحاخامات .

ـ مقارنة معتقدات اليهود بالنصوص الاسلامية كشفت ما يلي :

أ ـ ادعاءهم بأنهم يحملون كتاب منزل يحتوي على علم الانبياء

والعلماء ليوهموا المسلمين أنهم يملكون تفسير مالم ينزل عليهم من أخبار الامم السالفة ، و ما أجمله القرآن .

ب ـ كشف ما أرادوا تمريره من المعتقدات الوثنية الى الفكر الاسلامي ، وذلك لترويض الفكر الاسلامي ليتعايش فكرهم ويكون مركبا لبث معتقداتهم ، ويتجلى هذا الامر في الاسرائيليات التي نسوها في كتب التفسير والحديث .

ونسبة هذه الروايات الى الرسول (ص) وأصحابه ، يشكك في عصمة النبي (ص) اذا اعتقد انها من حديثه ، واذا نفيت نسبتها اليه (ص) الصقت التهمة في من يعتقد أنه رفعها اليه وهم الصحابة والتابعين ، وهذا يؤدي الى الشك في كل ما وصلنا عن طريقهم وهم الطريق الوحيد الذي يربطنا بالوحي .

ـ وحديثا نشط اليهود علماء ينقدون الاديان السماوية ومن بينها دينهم تظاهرا بالامانة العلمية ، والاحتكام الى الكشوف العلمية فاستخدموا ما دسه أسلافهم من خرافات وأساطير في التراث الاسلامي ذريعة لضرب هذا الدين ، فأدت مواجهتهم من أبناء الاسلام الى ظهور فيئة تضفي على النصوص الثابتة في القرآن والسنة مفاهيم تلك النظريات التي جاء بها هؤلاء العلمانيون للهروب والتخلص من الروايات الاسرائيلية ، وبمرور الزمن يعاد النقد والتكذيب لتلك النظريات العلمية ، فيتورط من اتبعها من المسلمين في التناقض وتصبح النصوص الثابتة في القرآن والسنة متهمة بذلك التناقض .

فكانت قصة الخلق أحسن مثال تتجلى فيه طرق التحريف والدسائس اليهودية في معتقدات المسلمين حيث أدى ظهور نظريات لامارك وداروين وغيرهم الى نسبة الخرافة للعقيدة الاسلامية فانجر وراءهم بعض التبع غفلة منهم أو مما فشرحوا نصوص قصة الخلق

على قرار ما جاء به هؤلاء مثل عبد الكريم الخطيب ويسرى عبد الرزاق .... الخ ثم نقدت هذه النظريات وثبت خطأها فبقي تفسير هؤلاء الاتباع معلقا، وأحدث التباسا في مفاهيم العوام ولكن الدراسات المقارنة رفعت هذا الالتباس على الحقائق، وبينت المفاهيم المحتملة للنصوص، وجردتها من الفكر الخرافي الاسطوري. وتعد الدراسات المقارنة امتدادا لما قام به أسلافنا من علماء الحديث في وضع قواعد تضبط صحة نسبة الروايات ونقد متنها لابعاد التناقض والمكذوب من الاخبار وكذلك دراسات النقاد المسلمين مثل ابن حزم.

فهرس المصادر حسب الترتيب الابجدي للمؤلفين

1 ـ قائمة المعاجم اللغوية :

1 ـ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم/ لسان العرب . طبعة (1968م) . دار النشر . بيروت .

2 ـ الفيروز آبادي : القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب/ القاموس المحيط . مكتبة النوري . دمشق .

3 ـ محمد أبي بكر الرازي/ مختار الصحاح : رتبة محمود خاطر. مكتبة شهاب أحمد بن محمد ـ مراكش .

4 ـ ى . قوجمان ./ قاموس عبري عربي . دار الجيل لبنان .

2 ـ قائمة المجلات:

1) ـ حام الدين الالوسي. الزمن في الفكر الفلسفي القديم. مجلة: عالم الفكر. المجلد : 8. عدد : يوليو ـ أغطس ـ سبتمبر 1977 . وزارة الاعلام في الكويت .

2) ـ مصطفى غلوس . الوجودية في الميزان . مجلة : رسالة الامام العدد : الرابع . 1985

3) ـ عبد الله أبو السعود. الاسرائيليات في التفسير. مجلة : المنار . عدد :7 سنة : 8 رجب 1403هـ أفريل 1983م

4) ـ عبد العزيز كامل . القرآن والسيرة النبوية ، بحث القرآن والتاريخ . مجلة : عالم الفكر. المجلد 12 عدد يناير ـ فبراير ـ مارس 1982

5) ـ يوسف القرضاوى . ثقافة الداعية . مجلة الدعوة . عدد 30 سنة 27 ذو الحجة 1388 نوفمبر 1978

قائمة المصادر العامة: أ) القرآن الكريم

ب) الكتاب المقدس

1) ـ ابن الاثير : أبي الحسين على بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ. الطبعة الخامسة (1405هـ) دار الكتاب العربي . بيروت.

2) ـ ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة . الطبعة الاولى (1329هـ) دار العلوم الحديثة .

3) ـ ابن حزم الظاهري : الفصل في الملل وأهل الاهواء والنحل . طبعة 1982م دار عكاظ جدة.

4) ـ ابن كثير : اسماعيل أبو الفداء : البداية والنهاية . مكتبة المعارف . بيروت.

5) ـ ابن كثير : اسماعيل أبو الفداء . تفسير القرآن العظيم. الطبعة الثانية (1389هـ ـ 1970م) دار الذكر العربي . بيروت.

6) ـ ابن قتيبة الدينوري : عبد الله بن مسلم . تأويل مختلف الحديث مكتبة الكليات الازهر .

7) ـ أبو ريه . أضواء على السنة المحمدية. الطبعة الرابعة ـ دار المعارف . مصر.

8) ـ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري. الجامع الصحيح المكتب التجاري للنشر والطباعة . بيروت.

9) ـ أحمد البنا . الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد ابن حنبل . الطبعة الثانية . دار الاحياء التراث العربي بيروت .

10) ـ أحمد عبد الغفور عطار . الديانات والعقائد في مختلف العصور. الطبعة الاولى (1401 هـ ـ 1981م) مكة المكرمة .

11) ـ أحمد سوسة . ملامح التاريخ القديم ليهود العراق . الطبعة الاولى (1973) مطبعة : أسعد . بغداد .

12) ـ أحمد شلبي : مقارنة الاديان ـ أديان الهند الكبرى ـ الطبعة الثانية (1966) مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

13) ـ أدولف أرمان . ديانة مصر القديمة . ترجمة : عبد المنعم أبو بكر ، ومحمد أنور شكري . مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر.

14) ـ الالوسي : شهاب الدين السيد . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني طبعة (1970م) دار الفكر العربي . بيروت.

15) ـ البسان . ج . وبد جبرى . المذاهب الكبرى في التاريخ . ترجمة دوقان قرقوط . الطبعة الاولى (1972) دار القلم. بيروت.

16) ـ البخاري : محمد ابن اسماعيل ابن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي . صحيح البخاري . طبعة (1981) دار الفكر بيروت .

17) ـ الذهبي : محمد ابن أحمد ابن عثمان . تذكرة الحفاظ . دار أحياء التراث العربي . بيروت.

18) ـ الذهبي : محمد ابن أحمد ابن عثمان . ميزان الاعتدال في نقد الرجال . دار المعرفة . بيروت.

19) ـ الزمخشري : محمود ابن عمر . الكشاف . دار المعرفة . بيروت.

20) ـ العجلي : أحمد بن عبد الله بن صالح أبي الحسن . تاريخ الثقات. الطبعة الاولى (1994) . دار الكتب العلمية . بيروت.

21) ـ السيد سابق . العقائد الاسلامية (1978م) دار الفكر العربي.

22) ـ السيوطي : جلال الدين . الدر المنثور في التفسير بالمأثور دار المعرفة .

23) ـ الشحات السيد زغلول . الاتجاهات الذكرية في التفسير. الطبعة الثانية (1977م) مكتبة الهيئة العامة المصرية .

24) ـ القرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري . الجامع لاحكام القرآن . الطبعة الثالثة (1967م) دار الكتاب العربي . مصر.

25) ـ أنور الجندي . المؤامرة على الاسلام طبعة (978) دار الاعتصام

26) ـ أنطون مونكات . تاريخ الشرق الادنى القديم. تعريب : توفيق سليمان . وعلي العساف وقاسم طوير.

27) ـ اسماعيل حقي البرسوى . روح البيان . دار التراث العربي . بيروت.

28) ـ جيمس فريزر . الفولكلور في العهد القديم. ترجمة : د. نبيلة ابراهيم . طبعة (1972م) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

29) ـ حنفي أحمد . التفسير العلمي للآيات الكونية . الطبعة الاولى . دار المعارف . مصر .
30) ـ ربحي كمال . دروس اللغة العبرية . طبعة (1982) عالم الكتب . بيروت .
31) ـ رحمة الله الهندي . اظهار الحق .
32) ـ رمزي نعناعة . الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . الطبعة الاولى (1970) دار القلم .
33) ـ رشيد الخاضوري . المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي . طبعة (1977م) دار النهضة العربية بيروت .
34) ـ محمد ابن محمد أبو شهبة . الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير طبعة (1390هـ 1970م) الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية . القاهرة .
35) ـ محمد أبو زهرة . مقارنة الاديان . دار الفكر .
36) ـ محمد البهي . الجانب الالهي من التفكير الاسلامي . الطبعة الخامسة (1392هـ 1972م) . دار الفكر . بيروت .
37) ـ محمد أحمد العزيز . النهاية فتن آخر الزمان . طبعة(1989م) دار نوبار للطباعة . القاهرة .
38) ـ محمد أحمد ذياب عبد الحافظ . أضواء على اليهودية من خلال مصادرها . طبعة (1406هـ 1985) دار المنار القاهرة .
39) ـ محمد الطاهر بن عاشور . التحرير والتنوير . طبعة (1984) الدار التونسية للنشر ـ تونس .
40) ـ محمد الصالح السيد . أصالة علم الكلام . طبعة (1983م) دار الثقافة والنشر والتوزيع القاهرة .
41) ـ محمد حسين الذهبي . الاسرائيليات في التفسير والحديث . الطبعة الثالثة (1986) مكتبة وهبة .
42) ـ محمد جابر عبد العال الحيني في العقائد والاديان . طبعة(1971م) الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر .

43) ـ محمد جمال الدين الفندى • الله والكون • طبعة (1976) الهيئة المصرية العامة للكتاب •

44) ـ محمد جمال الدين الفندى • الصوات السبع• طبعة (1973) الهيئة المصرية العامة للكتاب •

45) ـ محمد متولى • وجه الارض • طبعة (1971)• مكتبة الانجلو المصرية •

46) ـ محمد محمود حجازى • التفسير الواضح• الطبعة السابعة (1969م) مطبعة الاستقلال الكبرى • القاهرة •

47) ـمحمد عبد الله الشرقاوى • في مقارنة الاديان بحوث ودراسات• الطبعة الاولى• (1986) دار الهداية • مصر •

48) ـ محمد علي الصابوني • مختصر تفسير ابن كثير• الطبعة السابعة (1981) • دار القرآن الكريم • بيروت•

49) ـ محمد عطية الابراشى • الآداب السامية • الطبعة الثانية (1984) دار الحداثة بيروت•

50) ـ محمد غنيمي هلال • مختارات من الشعر الغارسي • (1385ـ 1965) دار الطباعة والنشر • القاهرة •

51) ـ محمد سعيد العشماوى • تاريخ الوجودية في الفكر البشرى • العدد الدار القومية للطباعة والنشر•

52) ـ محمود أبو الفيض المنوفي • الدين والفلسفة والعلم• الطبعة الثانية • دار الكتب الحديثة •

53) ـ مراد كامل • الكتب التاريخية في العهد القديم • طبعة(1968) معهد البحوث والدراسات العربية •

54)ـ موريس بوكاى • التوراة والانجيل والقرآن والعلم• ترجمة : نخبة من الدعاة • الطبعة الاولى (1978) • دار الكندى بيروت •

55)ـ موريس بوكاى • دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة الطبعة الرابعة (1977) دار المعارف • القاهرة •

56) ـ موريس بوكاى • ما أصل الانسان • ترجمة : مكتب التربية العربي لدول الخليج • الطبعة الثانية) عشر • (1985)•

57) ـ صادق شحاتة عمارة • سر الحياة • طبعة(5 137 56 ر.)مطبعة لجنة البيان العربي • القاهرة •

58) ـ صلاح العجماوى • جواهر الايمان في صحيح الاديان • الطبعة الاولى (1988) دار صفا للطباعة والنشر•

59)ـ صموئيل هنرى هووك • منعطف المخيلة البشرية بحث في الاساطير• ترجمة : صبحي حديدى الطبعة الاولى (1983) دار الحوار اللاذقية سوريا •

60) ـ عباس محمود العقاد • ما يقال في الاسلام• المكتبة العصرية بيروت •

61) ـ عباس محمود العقاد • عبقرية المسيح • المكتبة العصرية بيروت •

62) ـ عباس محمود العقاد • عقائد المفكرين • طبعة (1979) المكتبة العصرية • بيروت •

63) ـ عباس محمود العقاد• سن ياتس أبو الصنيمين • طبعة (1973) المكتبة العصرية • بيروت •

64) عبد الكريم الخطيب • قصتا آدم ويوسف طبعة (1974) دار الفكر العربي • القاهرة •

65) ـ عبد العليم عبد الرحمان خضر الانسان في الكون بين القرآن العلم • الطبعة الاولى (1983) عالم المعرفة • جدة •

66)ـ عبد العليم عبد الرحمان خضر • الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم • الطبعة الاولى (1936) دار السعودية جدة

67) ـ عبد العليم عبد الرحمان خضر • مفاهيم جغرافية في القصص القرآني • الطبعة الاولى (1981) دار الشروق • بيروت •

68) ـ علي عبد الواحد وافي • الطوطمية أشهر الديانات البدائية • طبعة (1959) دار المعارف • القاهرة •

69) ـ علي عبد الواحد وافي • اليهودية واليهود • طبعة (1970) دار النهضة للطباعة مكتبة غريب •

70) ـ عصام الدين حنفي ناصف • اليهودية بين الاسطورة والحقيقة نشوء وتطور العقيدة الموسوية • طبعة (1985) دار المرج بيروت •

٧٠ ـ [illegible] المصباح المكانوليكية - بيروت -
72 ـ [illegible] حضارة الهند - ترجمة : عادل زعيتر - الطبعة الثانية ، ١٩٤٣م) دار احيا التراث العربي - بيروت -
73 ـ ناصر عبد الواحد راغبي - الطوفان - طبعة (١٩٧٥) جامعة بغداد -
74 ـ فتحي رضوان - المنهل - العالم والمصلحون - طبعة (١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ م) دار المعرفة - بيروت -
75 ـ معجم البلدان - التصوير الكبير - دار احيا التراث العربي - بيروت -
76 ـ فهد بن عبد الرحمان ابن سليمان الرومي - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير - الطبعة الثانية (١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ م) مؤسسة الرسالة - بيروت -
77 ـ [illegible] حضارات سامية القديمة - ترجمة : الميس بعلبكي - طبعة (١٩٦٥م) دار المشرق - بيروت -
78 ـ [illegible] - رسالة في الطوطم والمحرمة - ترجمة : حسن [illegible] الطبعة ثانية (١٩٨٢) دار الطليعة - بيروت -
79 ـ [illegible] - قصة الديانات - دار الشعب المجلس الاعلى -
80 ـ [illegible] - الشجرة بين الجنة والخلود - الطبعة الثانية ، ١٩٦٥م) دار المنقذ - بيروت -
81 ـ [illegible] - ترجمة : شجرة تاريخها وخرافاتها - الطبعة [illegible] (١٩٦٥م) دار المعارف - بيروت -
82 ـ [illegible] - في ظلال القرآن - طبعة (١٤١٢ ـ ١٩٧٢) دار [illegible] - بيروت -
83 ـ [illegible] حكيم عالم المنطق - الطبعة الاولى عربية [illegible] (١٩٦٠م) مكتبة ابيض - تركيا -
84 ـ [illegible] (وآخرون) - ما قبل الفلسفة - ترجمة [illegible] - دار مكتبة الحياة - بغداد -
85 ـ [illegible]

86) ـ وليم جيمس • بعض مشكلات الفلسفة • ترجمة : فتحي الشنيطي • طبعة (1962م) المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر • القاهرة •

87) ـ وهيب ابراهيم : سمعان • الثقافة والتربية في العصور القديمة طبعة (1969م) دار المعارف • مصر •

88) ـ يارو سلاف تشرني • الديانة المصرية القديمة • ترجمة : أحمد قدري • طبعة (1987) هيئة الآثار المصرية •

89) ـ يسرى عبد الرزاق الجواهري • الدلالات البشرية • الطبعة الثالثة (1969) دار الطلبة العرب بيروت •

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس المصـــادر الاجنبيـــة

1) C.Toussaint.Les origines de la religion d'israél.Ed:1931.Librairie orient-
-aliste.Paul.Guthne r.

2) Charles.F.Jean.Milieu Biblique,avant Jessus.Christ.Ed:1922.Librairie orie-
ntaliste.Paul Gauthner. PARIS.

3) Denis Masson.Monotheisme coranique et Monotheisme Biblique.Ed:1976.Descl-
-ée de Brewer.

4) Encyclopaedia JUDAICA.volume:5. C - BH. JERUSALEM.

5) I.Epstein.LE Judaisme.traduit: L. Jospin.Parrait.Ed:1959. Bibliothéque.
Payot . PARIS.

6) Issac.Senanes. La petite encyclopedie,religieuse Juive.Ed:1948. ALGER.

7) Lacelot.Herrisman.L'univers est né en 3 munutes.Sceinces et vie.N°:722
Nov:1977. P:54-57.

8) Lincoln.Barnet.et les services redactionnel.Ce monde où nous vivons.texte
s francais par:Denis Francois.Ed:1962.Librairie Hachette.

9) Payot.(Dr.G).La magie chez les Assyriens et Les Babyloniens;Ed:1947.PARIS

10) Robert.Leffont .Histoire du developpement cultural et scientifique de
l'humanuté/Ed:1967.PARIS.

11) Roger carilini.Encyclopedie:Bordas. Ed:1979. ITALY.

12.)The interpreters of Bible.The Holy scriptures in the King James and re-
-vised standard version with general articles and introduction exe-
-geses, exposition for each book of the bible. Vol:1.
NEW YORK. Abing dom. Press Nashvil.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس المـــواضيـــع

الموضـــوع	الصفحـــة
المقدمـــة	أ
تمهيـــد	1
البـــاب الاول	
قصـــة الخلـــق في الديـانات السابقة لليهودية	13
الفصـــل الاول :	
قصـــة الخلـــق في الديـانات الساميـــة	19
الرواية الســـومرية	26
الرواية البابليـــة	25
أسطورة الخلق عند الكنعانيين	28
الفصـــل الثاني :	
قصـــة الخلـــق عند قدماء المصريـين	29
ـ قصـــة الخلـــق	30
1) الاسطورة الاشمونية والهليوبوليتانية	31
2) نظريـــة منـــف	32
ـ خلـــق الانســـان	34
الفصـــل الثالث :	
قصـــة الخلـــق في ديانات الشرق الأقصى	35
1) ـ قصـــة الخلق في ديانات الهند	37
2) قصـــة الخلق عنـــد الصينيـــين	44
البـــاب الثانـــي :	
قصـــة الخلق في المصادر اليهودية والمصادر الاسلامية	46
الفصـــل الاول :	
قصـــة خلـــق الكون في المصادر اليهودية والاسلاميـــة	46
1) في المصادر اليهوديـــة	46
ـ نبـــذة تاريخيـــة	46
ـ المدارس الفكرية في التوراة	50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـ المدرسة اليهوية 51
2 ـ المدرسة الايلوهيمية 51
3 ـ المدرسة الكهنوتية 52
4 ـ المدرسة التشريعية 52
قصة الخلق في التوراة 56
ـ قصة خلق الكون 56
قصة الخلق في المصادر الاخرى 62
2) قصة خلق الكون في المصادر الاسلامية 67
ـ الحال قبل خلق الكون 69
ـ خلق السموات والارض 75
ـ المخلوقات الاخرى
1) خلق النور والظلام 83
2) خلق الاجرام السماوية 85
3) خلق الكائنات الحية 86

الفصل الثاني :
مقارنة بين قصتي الخلق في المصادر اليهودية والاسلامية
1) أوجه الشبه 89
2) أوجه الخلاف 90

الفصل الثالث :
(قصة خلق الانسان في المصادر اليهودية والمصادر الاسلامية)
1) في المصادر اليهودية 98
2) قصة خلق الانسان في المصادر الاسلامية 102

الفصل الرابع :
(مقارنة بين قصتي خلق الانسان في المصادر اليهودية والاسلامية
1) أوجه الشبه 109
2) أوجه الخلاف 110

جامعة الإمام للعلوم الإسلامية

الباب الثالث

- (الاسرائيليات في قصة الخلق في بعض التفاسير) 114
تعريف: 114
- أقسام الاسرائيليات 115
- الصحيح في الاسرائيليات 115
تقسيم الاسرائيليات حسب مضمونها 116
طرق تسرب الاسرائيليات 120
المتهمون برواية الاسرائيليات 122
طبقة الصحابة 122
أبو هريرة 122
عبدالله بن عباس 124
عبدالله بن سلام 125
تميم الداري 126
طبقة التابعين 127
كعب الاحبار 127
وهب بن منبه 128
الاسرائيليات في قصة الخلق الواردة في بعض التفاسير 129
تفسير القرآن العظيم لابن كثير 135
روح المعاني للالوسي 137
تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور 137
أثر الاسرائيليات في الفكر الاسلامي 138
الخاتمة 142
فهرس المصادر 145
فهرس الموضوعات 154

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية